وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة عمار ثليجي الاغواط

كلية العلوم الإنسانية والإسلامية والحضارة

قسم التاريخ

الربط في بلاد المغرب الأدنى خلال العصر الأغلبي (184هـ/296هـ)

مذكرة تخرج ضمن متطلبات نيل شهادة الماستر في التاريخ الوسيط

إعداد الطالب:

عبد الحليم بلخضر

إشراف الأستاذة:

ربيعة سويقات

الأستاذة المشرفة.....ربيعة سويقات

الأستاذ الرئيس.....حمدي أحمد

الأستاذ المناقش.....د. فوزي رمضاني

السنة الجامعية 2017/2016

شكر وعـــرفان

اللهم إنا نشكرك على نعمتك ونحمدك عليها اللهم إنا نشكرك على كل طريق صعب يسرته لنا ۔ والحمد لله الذى وفقنا لإنجاز هذا العمل المتواضع والصلاة والسلام على سيدنا محمد سيد المرسلين وخاتم النبيئين ۔

عندما وقفت أقدامنا على مشوار البداية الذى كان طويلا حينها إلى أن لم تسطع أبصارنا على رؤية مداه ۔ فقد كان لا يتجاوز خطواتنا الصغيرة ۔ والآن وقد أوشكنا على النهاية لا يسعنا القول إلا أن نشكر من مهدوا لنا طريق العلم والمعرفة ۔ إلى جميع أساتذتنا ومعلمينا الأفاضل من الابتدائية حتى شعبة التاريخ الوسيط ۔ ولا يفوتنا شكر من نوع خاص للأستاذة المشرفة ربيعة سويقات والأستاذ كعبوش بومدين والدكتور خالد الشارف حفظهم الله ورعاهم على توجيهاتهم العلمية والقيمة ودعمهم المعنوى الكبير ۔

أشكر أيضا جامعة قسنطينة وعمال المكتبة بما قدموه من ترحيب وحسن المعاملة ۔ وكل الشكر أيضا للأخ النية لشعل والمجموعة الطيبة على تقديم المساعدة فى اصعب الظروف ۔ وفى الختام نتقدم بالشكر والعرفان الكبيرين إلى كل من دفع بنا نحو السير فى عملنا وإنجاز مذكرتنا

عبد الحليم بلخضر

إهداء

الحمد لله وصلى الله على خير الأنام ونبراس الظلام ومن هو للرسل ختام سيدنا محمد صل الله عليه وسلم

وأله وأصحابه الكرام وبعد

أهدي هذا العمل إلى من أضاءت لنا درب الحياة بنور الأخلاق والتربية الفاضلة وأهدت لنا زهرة تشبهها فغدت أريجا يملأ قلوبنا وعقولنا، إلى من علمتنا أن العلم تواضع والعبادة إيمان والنجاح إرادة والحياة عمل. أمي الغالية.

إلى رمز التضحية إلى من دفعني إلى العلم إلى أعظم الرجال خيرا الذي تعب كثيرا من أجل راحتي وأفنى حياته من أجل تعليمي وتوسم في درجات العلى والسمو إلى ذلك الرجل الكريم .أبي العزيز.

إلى من أعيش في ظل وجودهم أملي إخوتي: قدور، علاء الدين،

إلى أخواتي: إلهام، رابعة العدوية، و البرعومة هبة الرحمان.

إلى كل الأهل والأقارب .....وخاصة عائلة بغداد (ع) و إلى كل الأصدقاء والأحبة الذين شاركوني طعم الحياة حلوها ومرها: عطاء الله، النية، حرز الله، علي، مداني، السعيد.

وإلى: ن.إ.س الزاوي و ن. شرايف. وأ.شفار و أ.بلعباس. و م.حميني. ز. بن جيلالي

إلى كل من وسعتهم ذاكرتي ولم تسعهم مذكرتي.

عبد الحليم بلغفر

قائمة المختصرات

الرمز	المعنى
ج	جزء
ط	طبعة
د ط	دون طبعة
هـ	هجري
م	ميلادي
مج	مجلد
مر	مراجعة
ص	صفحة
ص.ص	عدد الصفحات
تح	تحقيق
تر	ترجمة
دت	دون تاريخ

مقدمة

لقد كانت المدن الساحلية للمغرب الإسلامي، عرضة للتهديدات البيزنطية قبل أن تطأ أقدام الفاتحين بلاد المغرب الإسلامي، وبداية انتشار الإسلام به، حيث تقبل هذا الدين الجديد على أهل المغرب الإسلامي تارة بالرفض وتارة بالاستحسان والقبول، بكونه يضمن حريتهم ويؤمن لهم العيش الهني، وعلى هذا وجب على سكان مدن السواحل الحذر من هذه الهجمات القائمة من كل الجهات الشمالية للبحر الأبيض المتوسط، لذلك كانت الخلافة الإسلامية بالمشرق مضطرة لإنشاء وإعداد التحصينات اللازمة للدفاع عنها وحمايتها.

ومن أبرز التحصينات التي ظهرت في ساحل المغرب الإسلامي الأربطة وهي نوع من المباني العسكرية يحمل صبغة دفاعية، ولم تكن هذه التحصينات تحمل اسم رباط فقط، فهناك أربطة عرفت باسم قصور، وهناك ما عرف باسم حصون، وهي تكون على ضفاف.

وكان الجهاد في سبيل الله قد اقتصر في لفظ الرباط عند المغاربة وقد اكتسب مكانة كبيرة وعالية في تصورهم، فهو الطريق السليم والسلمي لإحقاق الحق وازهاق الباطل، ومع هذا فهم يفرقون بين الجهاد والحرب بكون الجهاد في سبيل الله شرعه الله، أما الحرب بمعناه الصراع و التدمير و الاستلاء، ولذلك أعتبر الرباط والمرابطة في سبيل الله من مغافر أهل المغرب الإسلامي.

اشكالية الموضوع:

– ما دور الربط في الدفاع عن سواحل المغرب الإسلامي؟

وكانت الإشكالية المطروحة تتفرع إلى مجموعة من التساؤلات التي راودتني أثناء عملية البحث، والمتمثلة فيما يلي:

- كيف كانت أوضاع المغرب الإسلامي ؟
- كيف نشأت الربط وما هي مراحل تطورها؟
- ما هي وظيفة هذه الربط؟ وما دورها العسكري والديني والاقتصادي؟

أسباب اختيار الموضوع:

لقد كان اختياري لموضوع " **الربط في بلاد المغرب الأدنى خلال العصر الأغلبي (184هـ/296هـ)**، بصفتها منطقة مستهدفة، وكان معقل المغرب الإسلامي تابع للخلافة المركزية كقاعدة إسلامية مهمة، وذلك رغبة في التعرف أكثر على التحصينات العسكرية التي ساهمت في حماية الإسلام والمسلمين من أي خطر يهددهم، خاصة البيزنطيين، إضافة إلى الدور الذي لعبته الربط في الدفاع العسكري والديني، محاولا ابراز أي من الدورين تميزت به الربط.

المنهج المتبع:

ان الدراسة التاريخية للأحداث تتطلب اتباع المنهج الوصفي في المنهج التاريخي والتحليلي والنقدي والمقارن، من أجل تقريب الصورة للقارئ وهو منهج يتلائم وطبيعة الموضوع الذي نبحث فيه.

خطة البحث:

لقد تناولنا في الموضوع بداية بمقدمة استعرضت فيها كل من الأهمية والإشكالية، والمنهج الذي اتبعته مقدما التساؤلات العرض منها هو الإجابة عليها ولذلك قسمت موضوعنا إلى خطة محاولا فيها الإجابة على الاستفسارات المطروحة، وهي مقسمة إلى ثلاثة فصول.

- **الفصل الأول** ويتضمن الإطار الجغرافي والبشري والتاريخي للمغرب الإسلامي وبدوره تطرقت فيه إلى مبحثين، فالمبحث الأول حددت فيه الإطار الجغرافي والبشري لبلاد المغرب الإسلامي، وأما المبحث الثاني فقد كان مخصصا للإطار التاريخي للمغرب الإسلامي، ومن خلال حركة الفتح الإسلامي لبلاد المغرب الإسلامي بطريقيه الديني والعسكري وكذلك عصر الولاة بشقيه الأموي والعباسي، وعصر الدويلات الإقليمية.
- **الفصل الثاني** إذ تطرقت في هذا الفصل إلى ثلاثة مباحث تكلمت فيها عن الرباطات بين المدلول اللغوي والاصطلاحي، والمبحث الثاني حاولت فيه إيضاح نشأة الربط ومراحل تطورها وتوزيعها الجغرافي على سواحل بلاد المغرب الإسلامي، أما المبحث الثالث الذي خصصته للربط

في سواحل بلاد المغرب الإسلامي في منطقة المغرب الأدنى، وقمت باختيار نموذجين بارزين في تلك الفترة، في عهد الدولة الأغلبية.

- **الفصل الثالث** والذي تطرقت فيه إلى ثلاثة مباحث بحيث خصص المبحث الأول لإدارة ووظيفة الربط الساحلية، والمبحث الثاني حاولت ابراز الأدوار التي لعبها الرباط العسكري والديني، وكذا المبحث الثالث تكلمت فيه عن الدور الاقتصادي الذي مارسه الرباط في تلك الفترة.

وفي الأخير **خاتمة** دونت فيه مختلف النتائج التي توصلت إليها في هذا البحث وأرفقت البحث ببعض الخرائط والملاحق التوضيحية.

التعريف بأهم المصادر التي اعتمدت عليها في البحث:

- **ابن عذارى المراكشي(أبو العباس أحمد بن عذارى) (ت712 هـ/1312م)**

يعتبر مصدر مغربي الأصل في كتابه**"البيان المغرب في أخبار المغرب "**إذ يعتبر هذا الكتاب ذو أهمية خاصة في تاريخ المغرب الإسلامي على الإطلاق لما تضمنه من معلومات مهمة و قيمة حيث أخذ من مصنفات الرقيق القيرواني و البكري، و الطبري لذلك استقينا من هذا الكتاب لما تناوله حول تاريخ المغرب والأندلس منذ الفتح حتى نهاية عصر بني مرين، وقد استفدنا كثيراً من هذا المصدر لاعتمادنا عليه اعتماد بشكل كامل في جزؤه الأول حول تاريخ المغرب منذ الفتح .

- **أبو عبيد الله البكري: (ت 487هـ/1094م):**

وقد رجعت لكتابه" **المغرب في ذكر بلاد لإفريقية و المغرب**"، وهو كتاب من كتب الجغرافيا والمسالك والممالك ذو أهمية كبيرة لاحتوائه على كم هائل من المعلومات التي تفيدني كثيرا في موضوعي إذ أنه يتحدث فيه عند المدن والقرى في الطريق من مصر إلى برقة والمغرب، ويذكر المدن الداخلية والساحلية الموجودة، وقد استعنت به في الفصل الثاني كثرا بحيث سهل علي التعرف أكثر على مواضع التحصينات والرباطات الموزعة على ساحل بلاد المغرب الإسلامي.

- **أبو بكر عبد الله بن محمد المالكي:**

وقد رجعت لكتابه "**رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وافريقية وزهادهم ونساكهم وسيرة من اخبارهم و أوطانهم**"، كذلك يعتبر من الكتب القيمة من حيث المعلومات ودقتها وصدقها، ويعبر المصدر المقرب والمهتم كثيرا بالشخصيات والأعلام لمنطقة إفريقية، كما استعنت به في الفصل الثاني والثالث وقد استعنت به في جزئية علماء افريقية والمرابطين والمتفقهين والعباد، وقد أفادني كثيرا من خلال التعرب على الربط وأهم المرابطين.

- **الرقيق القيرواني أبو اسحاق ابراهيم بن القاسم:(نحو 425هـ/ نحو 1034م):**

واعتمدنا على كتاب"**تاريخ إفريقية و المغرب** "الذي اشتمل على تاريخ إفريقية و المغرب منذ الفتح العربي الإسلامي إلى عصره، إذ نجد أن إبن عذارى المراكشي نقل عنه أخبار عديدة لذلك استفدنا من هذا الكتاب في تحديد الأماكن و ما تحويه من تفصيلات مهمة حيث ذكرها باللهجة المحلية المغربية البربرية، فنجد أيضاً نقل عنه النويري وإبن خلدون و الرحالة التيجاني، لذلك أفادنا هذا المصدر لتاريخ عصر الولاة في بلاد المغرب و الأندلس حتى نهاية القرن**8**هـ لأن هذا الكتاب اتسم بالصدق و الدقة و الموضوعية

- **ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد بن خلدون) (ت 808هـ/1405م):**

الذي نقل عن بلاد المغرب والأندلس و الأقطار الشرقية ما يستوفي من أخبار في كتابه "**العبر و ديوان المبتدأ و الخبر في تاريخ العرب و العجم و البربر و من عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر**" إذ يعتبر هذا الكتاب من أهم المصادر العربية وأخذنا منه ما يتعلق بتاريخ المغرب من العرب والبربر و ما يتعلق من الأنساب و الأصول و تفرعها و عمرانها ،فتناولنا منه أخبار العرب و أجيالهم و حكامهم و سلطانهم، كذلك البربر وقبائلهم حيث تناول منه عن تاريخ المغرب الإسلامي لوفرة المعلومات فيه إذ تمتاز بالدقة و العمق في الأخبار و قد ساعدتنا هذه الموسوعة كثيراً في معرفة صلة السياسة باتصاله بالقبائل المغربية والانتقال بين العدوتين ذلك في قسم خاص بتاريخ إفريقية والمغرب منذ الفتح حتى قيام دولة بني الأغلب.

الصعوبات:

ان الصعوبات التي صادفتنا قد تصادف كل باحث بالطبع لكل الذي يقدم على ارتياد هذا الميدان عامة و في التاريخ الإسلامي بصورة خاصة و ذلك بسبب:

- تلقيت صعوبة في التعامل مع المصادر بحيث يتم ذكر صاحب الرباط دون ذكر المواصفات له.
- قلة والمراجع المصادر وكتب الآثار في جامعتنا وخاصة ما يتعلق ببلاد المغرب الإسلامي مما استوجب تحمل متاعب السفر من أجل البحث.

الفصل الأول

الإطار الجغرافي والبشري والتاريخي للمغرب الإسلامي

I. الإطار الجغرافي والبشري

1. الإطار الجغرافي

إن دراسة البيئة الجغرافية للمغرب حتمية في الفترة الإسلامية، لان البيئة الجغرافية تؤثر في الحياة القبلية تأثيرا عظيما. ومعلوم أن الحياة القبلية هي عصب تاريخ المغرب الإسلامي. حيث ظفرت القبائل المغربية بالمساواة المطلقة بالفاتحين بعد دخولها في الإسلام. واستطاعت منذ القرن الثاني الهجري أن تؤسس دولا لعبت في تاريخ المغرب الإسلامي دورا عظيما.

أ. أصل التسمية:

يطلق على الأقاليم الواقعة غرب مصر شرقا حتى طنجة على بحر الظلمات[1] غربا، ومن بحر الروم شمالا إلى الصحراء الكبرى جنوبا وعلى حد قول السلاوي في كتابه الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، أن يحدد لفظ بلاد المغرب أنه يطلق في عرف أهله على ناحية من أرض معروفة بعينها حدها من جهة مغرب الشمس لبحر المحيط المعروف بالكبير ومن جهة مشرق الشمس بلاد برقة[2] وما خلفها إلى الإسكندرية ومصر[3]، فبرقة خارجة عن بلاد المغرب بهذا الاعتبار وبلاد طرابلس[4] وما دونها إلى جهة البحر المحيط داخلة فيه وحدها من جهة الشمال البحر الرومي[5]

(1) ابن عبد الحكم ، **فتوح افريقية والأندلس**، تح عبد الله أنس الطباع، مكتبة المرسة ،دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر، بيروت، 1964م، ص34.

(2) برقة هي بلاد قاحلة ووعرة لا ماء فيها ولا أراضي تزرع كانت خالية من السكان قبل دخول العرب إلى افريقية :أنظر حسن ابن الوزان الفاسي، **وصف افريقيا**،ج2، تر محمد حجي، محمد الاخضر، دار الغرب الإسلامي ط2، بيروت،1983م، ص12.

(3) السلاوي (أحمد بن خالد الناصري)، **الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى**، ج1، تح جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء،1997م ص127.

(4) ياقوت الحموي، **معجم البلدان، مادة افريقية**، مج1، د ط، دار صادر، بيروت، 1977م، ص228.

(5) ابن خلدون(عبد الرحمان)، **ديوان المبتدأ والخبر**،ج6 ، مر: سهيل زكار، دار الفكر، بيروت ،لبنان، 2000م، ص139.

المتفرع عن المحيط ويعرف هذا الرومي بالصغير ومن جهة الجنوب جبال الرمل الفاصلة بين بلاد السودان وبلاد البربر وتعرف عند العرب الرحالة بالعرق[1].

وقال ابن عذارى :"حد المغرب وحده مدينة سلا[2] وهذا يعني مصطلح عام قصد به المناطق الواقعة في اتجاه غروب الشمس عكس البلاد لواقعة في اتجاه شروق الشمس"[3]، وكان أول من استعمل التعبير بهذا المعنى الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه إذ خاطب الخوارج قبل معركة النهروان ،بعد أن قتلوا رسوله إليهم الحرث بن مرة :(....أن ابعثوا إلي بقتله إخواني فاقتلهم ثم أتاركم إلى أن أفرغ من قتال أهل المغرب....)[4].

وإضافة إلى وأكثر توضيحا لما سبق يتجلى ذلك في كتب بعض المؤرخين الجغرافيين المسلمين الذين تناولوا اصطلاح المغرب، ومنهم ابن عبد الحكم الى ان المغرب هي بلاد تلي بجاية حتى بحر الظلمات[5]، ويحدد البكري إفريقية طولا من برقة شقا إلى طنجة غربا[6]. أما الحدود التي رسمها ابن عذارى المراكشي لبلاد المغرب فهي من تهرت الى مدينة سلا[7] ويسميها بلاد طنجة[8].

(1) السلاوي، المصدر السابق، ص127.

(2) ابن عذارى المراكشي، **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**، تحقيق ومر ج-س كولان وليفي بروفنسال، ج1،ط3، دار الثقافة، بيروت، لبنان، 1983م، ص5.

(3) نفسه، ص5.

(4) المسعودي أبو الحسن علي بن الحسين، **مروج الذهب ومعادن الجوهر**، ج2،المطبعة البهية، مصر 1346ه، ص36.

(5) ابن عبد الحكم، المصدر السابق، ص ص 34-42. - ابن خلدون، المصدر السابق،ج6، ص127.

(6) ابو عبيد الله البكري، **المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب وهو جزء من المسالك والممالك**، د ط، دار الكتاب الاسلامي، القاهرة، د ت، ص21.

(7) سلا :مدينة بأقصى المغرب ليس بعدها معمورة الا مدينة صغيرة يقال لها غَرْنِيطُوفْ ثم يأخذ البحر ذات الشمال و ذات الجنوب، وهو البحر المحيط فهي مدينة متوسطة في الصغر و الكبر موضوعة على زاوية على الارض قد حذاها البحر و النهر بالمغرب الأقصى.-انظر الحموي، المصدر السابق، مج3، ص231.

(8) ابن عذارى، المصدر السابق، ج1، ص5.

ب.جغرافية بلاد المغرب الاسلامي:

تؤلف بلاد المغرب الاسلامي وحدة جغرافية وأثنولوجية مستقلة عن بقية القارة، وهذا الارتباط الجغرافي والاثنلوجي يرجع إلى امتداد جبال الأطلس في قلب المغرب من أقصى الغرب إلى أقصى الشرق، وجبال الأطلس هذه تمتد في سلسلتين إحداهما شمالية وهي تتفرع بدورها إلى فرعين يمتد أحدهما وهو ما يعرف بجبال الريف، بحذاء ساحل العدوة متخذا شكل قوس يحتضن الساحل الشمالي من سبتة إلى مليلة[1]،تاركا سهلا ساحليا ضيقا في هذه المنطقة، أما الفرع الآخر المعروف بالأطلس التلي فيمتد بحر الظلمات[2] شمال وادي سوس نحو الشمال الشرقي حتى إفريقية، وهي جبال عالية الارتفاع شديدة الانحدار في جانبيها الشمالي والجنوبي، وبخاصة قسمها الغربي من المغرب الأوسط، أما الجزء الشرقي فأقل ارتفاعا وبه ممرات أكثر، والسلسلة الثانية في الجنوب تعرف بجبال الأطلس الكبرى[3] ، فتمتد في جوف الصحراء جنوب واد سوس في مواراة جبال أطلس التل، وتنتهي في جنوبي إفريقية أيضا، وهي أكثر الجبال ارتفاعا ولا توجد بها ممرات تيسر الاتصال بين المغرب الأقصى والمغربين الأوسط والأدنى، سوى ممرات تازة الذي يعتبر المدخل الوحيد إلى المغرب الأقصى[4] فكان لهذه المجموعة الجبلية أثر كبير في العزلة التي فرضت على المغرب الأقصى الذي يقع فيه، إلى الجنوب من جبال الأطلس الصحراء سلسلة جبلية تعرف بجبال درن[5] .

(1) محمد عبد المنعم الشرقاوي ومحمد محمود الصياد، **ملامح المغرب العربي**، الإسكندرية، 1959م، ص13.

(2) يسمى بحر الظلمات لما أنه تقل فيه الأضواء من الأشعة المنعكسة على سطح الأرض من الشمس لبعده عن الأرض، انظر: ابن خلدون، مصدر سابق، ص 128.

(3) ابن خلدون، المصدر السابق، ص133، ص134.

(4) نفسه، ص 133.

(5) المراكشي، **الاستبصار في عجائب الامصار**، سعد زغلول عبد الحميد، د ط، دار النشر المغربية، دار البيضاء، 1985م، ص163.

2. التقسيمات الادارية والاقليمية لبلاد المغرب الاسلامي

بدأت منذ القرن الثاني الهجري، وتظهر في مسميات العرب لبلاد المغرب مفاهيم واصطلاحات ، تدل على تقسيمات ادارية واقليمية ثلاث لهذه البلاد. بالإضافة الى اقليم برقة وطرابلس ولقد حدث فصل هذا الاخير عن اقاليم بلاد المغرب لكونهما وحدة مستقلة منذ بداية فتح بلاد المغرب الاسلامي ، وكذلك ارتباطها بمصر أكثر من ارتباطها ببلاد المغرب الاسلامي جغرافيا.

أ. **المغرب الادنى**: واطلق عليه في كتاباتهم وتأليفهم " افريقية" فيذكر البكري افريقية تعني " صاحبة السماء " كما إنها سميت كذلك افريقش ابن أبرهة، ابن الراشيش غزا نحو المغرب حتى انتهى الى ارض طنجة فبنى افريقية فسميت باسمه[1].

لقد أطلق اسم المغرب الادنى على هذه البلاد لأنها اقرب الى الادارة المركزية للدولة العربية الاسلامية ودار الخلافة في المشرق ، وهو على امتداد الحدود الغربية لطرابلس شرقا الى بجاية غربا، ويمكن القول استنادا الى بعض المصادر ان مركز المغرب الادنى هو مدينة القيروان[2].

ب. **المغرب الاوسط**: ويمتد من الحدود الغربية لمدينة بجاية شرقا حتى واد ملوية غربا، ويعد الحد الفاصل بين المغرب الاوسط والاقصى وقاعدته مدينة تلمسان ويسمى بالأوسط لتوسطه المغرب الادنى والمغرب الاقصى[3].

ج. **المغرب الاقصى**: ويمتد ما بين وادي ماوية[4] وتلمسان شرقا حتى بحر الظلمات عند مدينة آسفي غربا، قاعدته مدينة فاس وسمي بالأقصى لبعده عن مركز الخلافة في المشرق[5].

---

(1) ابو عبيد الله البكري، المصدر السابق، ص21.

(2) نفسه، ص23.

(3) السلاوي، المصدر السابق، ص127.

(4) ياقوت الحموي، مج5، المصدر السابق، ص106.

(5) ابن خلدون، المصدر السابق، ص ص62 -98. - السلاوي، المصدر السابق، ص ص33-34.

في بعض القراءات عن مصطلح المغرب على نطاق شمال افريقية كله أو جزء منه وذلك في بعض المؤرخين والكتاب الغربيين والعرب أيضا على نطاق شمال افريقية من السلوم الى طنجة وفي أغلب الظن نجد أن تعبير عن هذا المصطلح لم يقع قبل القرن الثالث هجري، أي أن في عصر ابن عبد الحكم اذ نرى أنه أشار اليه بعض النشاطات التي قام بها معاوية ابن خديج بقوله، (ثم خرج الى المغرب، بعد عبد الله ابن بعد معاوية بن حديج)[1].

ومن جهة أخرى نجد أن ابن عذارى المراكشي قد ميز بين مصطلحات افريقية والمغرب والاندلس بحيث أنه على حد اعتباره المغرب نصفين ، نصف شرقيا وهو شمال افريقية ونصف غربي هو الأندلس وتجمعهما في مصدر جغرافي واحد[2].

أما الادريسي فيحدد بداية ونهاية المغاربة الثلاث راحة وضمن عندما يذكر " أن مدينة بجاية في وقتنا هذا مدينة المغرب الأوسط وعين بلاد بني حماد "[3].

3. التركيبة السكانية لبلاد المغرب الإسلامي

ان العنصر البشري لأي منطقة من المعمورة يعتبر اللبنة الأساسية في تواصل وقيام الدول، ولقد كانت منطقة بلاد المغرب الاسلامي والتي تعتبر بالدرجة الأولى المنطقة التي تحتوي على تنوع بشري، وذلك منحها صبغة اجتماعية وأكسبها قوة متلاحمة، وكان هذا التنوع سلاح ذو حدين من ناحية طبيعة العقلية المغربية والعصبية التي تمير العنصر المغربي.

أ. **البربر**: اسم روماني أطلق من طرف الرومانيين على سكان المغرب الاسلامي، فسموا بهذا الاسم وعرب الى البربر وبرابر[4]، والبربر هم السكان المغرب الاسلامي الاصليين، وقد تصدوا

(1) ابن عبد الحكم، المصدر السابق، ص260.

(2) ابن عذارى، المصدر السابق، ص43.

(3) الشريف الادريسي، **المغرب وارض السودان ومصر والاندلس مأخوذ من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الافاق**، طبع مدينة ليدن المحروسة، 1863م، ص90.

(4) عبد العزيز سالم، **تاريخ المغرب في العصر الاسلامي**، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية، د ت، ص47.

للفتح الإسلامي، في أول الأمر، ثم ما لبثوا أن ساندوه، وبعد أن اختلطوا بالمسلمين وعرفوا الدعوة الإسلامية ومبادئها السامية، فأقبلوا على الإسلام وآمنوا به[1] .

إذ أنه يلاحظ اختلاف المؤرخين في اثبات حريتهم ووطنهم منهم من يرجح أنهم وفود أوربا ومنهم من يقول أنهم من آسيا في عصر ما قبل التاريخ[2]، وعلى حد علم أهل المعرفة من علماء الأنثروبولوجيا (علم دراسة الانسان)، إذ يقولون أن هناك تشابه في الصفات الجسمانية واللغة البربرية الدارجة مع اللغات السامية، لأن البربر كان ظهورهم حوالي ثلاثة آلاف ستة يطلق عليهم اسم ليبو حيث أن هذا النوع من الاجناس يمتازون بشعر أشقر وزرقة العين وبياض الوجه وهي نفسها نراها في المغرب الأوسط في جبال جرجة، وسرعان ما تمازجت هذه الفئة مع الأجناس الأخر، بعضها يهودية، وبعضها سامية وبعضها هنود أوربية اللاتين و الوندال والإغريق وبعضها زنجية.

ولعل هذا ما يفسر انقسام البربر من حيث الصفات البدنية إلى نوعين:

- هم أغلبية السكان ذوي البشرة السمراء، شعر أسود، ورأس مستدير وخدين بارزتين وأنفة قصير وجبهته المقوسة ويشبه هذا النوع من البربر سكان جنوب اسبانيا وايطاليا[3].
- يتميز بشعر أشقر اللون وزرقة العينين[4].

ومن المرجح أن هذه القبائل تنقسم إلى مجموعتين تمثل الطلائع التي تكون السكان، ومقسمة على حسب المنطقة، أولاهم البربر الحضر، التي تسكن المدن والحواضر والقرى الكبيرة وتتمهن الزراعة وتربية الحيوان، وبعض الصناعات اليدوية، ويتصلون بالحضارة القرطاجنية، واللاتينية، وأما القبائل الثانية هم البربر الرحل، والذين كانوا منتشرين في الصحاري ويعيشون على الرعي، وهناك

(1) عبد العزيز شهبي، **تاريخ المغرب الإسلامي**، ط1، مؤسسة كنوز الحكمة، الجزائر، 2013م، ص5.

(2) عبد العزيز سالم، **تاريخ المغرب في العصر الاسلامي** ، ص48.

(3) عبد العزيز سالم، **تاريخ المسلمين آثارهم في الاندلس**، دار المعارف، لبنان، ص 20-21.

(4) نفسه، ص21.

نوع أخر من البربر هم الظواغن هم بدو يعيشون على الرعي ولكن بطريقة أخرى ويميزون بها، وهي الاغارة على ما تجاورهم من نواحي العمران[1].

وكانت القبائل المغربية تتفرع إلى بطون وعشائر تتصف بالشجاعة والخشونة وحب القتال وحدة الخلق، كما انقسموا الى جذمين كبيرين، الأول قبائل البرنس الذين استقروا في المدن، وتحضروا بالحضارة اللاتينية، والثاني جذم متبد يسكن البادية، ويسمون قبائل البتر[2]، على نحو انقسامهم إلى قطانيين وعدنانيين وينتسب البتر إلى مادغيس بن بر فسموا لذلك برانس[3]. ويعتقد ابن خلدون من أن البرانس من ولد مازيغ بن كنعان الذي يرتفع نسبه إلى جام بن نوح[4].ويقال أن البربر البرانس هم القبائل المشهورة عشرة: مصمودة، إزداجة وأربة (أرفة) وعسيبة، وكتامة، وأوريغة، ويضاف اليهم حسب المؤرخين لمطة[5]، وهكسورة، وجزولة (كزرلة)[6]، وهذه الأصول الكبيرة تنقسم إلى فروع صغيرة، فقبيلة هوارة تنحدر من اوريغة، وقبيلة مليلة تنحدر من هوارة، وقبيلة غمارة تنحدر من مصمودة[7].وقبائل البتر، من قبائلهم المشهورة أربعة قبائل، هي أداسة ونفوسة[8]، وضريسة، وابن لوا الأكبر، وهذه الأصول الكبيرة تنقسم إلى فروع صغيرة، فمن قبائل لوا تعد قبيلتا نفزاوة ولواتية، وينحدر من نفزاوة قبيلة وطاطة، وتنحدر منها قبيلة تيرغاش ومن تيرغاش تنحدر قبيلة ورفجومة[9].

---

(1) حسين مؤنس، **فتح العرب للمغرب**، مكتبة الثقافة الدينية، ، د ط، د ت، ص6.

(2) ابن خلدون، ج6/ص 149.

(3) نفسه، ص182.

(4) ابن خلدون، المصدر السابق، ص181. – السلاوي، المصدر السابق، ص35.

(5) **لمطة :**بالفتح ثم السكون، أرض لقبيلة من البربر بأقصى المغرب من البر الأعظم يقال للأرض و القبيلة معاً لمطة واليهم تُنسب إليهم الدرق اللمطية و زعم أنهم يصطادون الوحش –انظر الحموي، المصدر السابق،مج،5ص23.

(6) نفسه، ص182. نفسه، ص36.

(7) محمود شيت خطاب، **قادة الفتح الإسلامي**،ج1، دار الفكر، ص16.

(8) **نفوسة :**جبال في المغرب بعد إفريقية عالية نحو ثلاثة أميال في أقل من ذلك، و فيها مدينتان إحداهما سُروس في وسط الجبل و بها الخبز و الشعير ألذ من كل طعام، والأخرى يُقال لها من ناحية نفزاوة. –أنظرالحموي، نفسه، مج 5، ص.296.

(9) ابن خلدون، المصدر السابق، ص16.

ب.العرب

عرب المغرب الاسلامي أو العرب البلديون أو العرب الأفارقة تلك هي مجموعات كانت تشكل البنية الاجتماعية لبلاد المغرب أي أنهم اليمانيون المضرين أكثرهم من اليمن وأهل الحجاز ويمثلون الأغلبية، الساحقة من سكان المغرب الاسلامي[1]، والظاهر أن هؤلاء العرب هم أنفسهم الذين كانوا التحقوا في الحملة المتوجهة من مصر إلى شمال افريقية لغرض الفتح فاختطوا لهم خططا في مدينة القيروان، واروا خلال القرن الأول الهجري يؤلفون جزءا أكبر من سكانه في القرون التالية[2].

ج. الأفارقة

لقد تشكلت هذه الفئة من المجتمع إثر التواجد الروماني بالمنطقة، وهم بقايا شعب قرطاجنة وأخلاط من المستعمرين اللاتينيين، والوطنيين المتأثرين بالحضارة الرومانية والبيزنطية، وكانوا يدينون بالطاعة والولاء لساداتهم البيزنطيين، ويشتغلون لهم الزراعة والصناعة، ويزعم ابن عبد الحكم أنهم تناسلوا من فارق بن بيصر[3]، الذي ضم تحت سلطانه، النطاق الجغرافي الذي ينحصر بين برقة وطنجة واليهم نسبت كلمة افريقية، وتحتمل أن يكون استعمال كلمة (عجم افريقية) هو للدلالة على عنصر الأفارقة[4].

(1) ابن عذارى، المصدر السابق، ص1.

(2) نفسه، ص2.

(3) ابن عبد الحكم، فتوح مصر وأخبارها، د ط، مطبعة بريل، ليدن المحروسة، 1920م، ص185.

(4) ابن عبد الحكم، المصدر السابق، ص229. وفيه قال عن الأفارقة "وأقام الأفارق، وكانوا خدما للروم، على صلح يؤدونه إلى من غلب عل بلادهم.

II. الإطار التاريخي للمغرب الاسلامي

امتدت الدولة الإسلامية في عهد الخليفة عثمان بن عفان (23-35 هـــ) على مجال شاسع من خراسان وأذربيجان شرقا إلى طرابلس غربا. وكانت الحملات الاستطلاعية الأولى التي قامت بها الجيوش الإسلامية باتجاه بلاد المغرب منذ سنة 27 هـــ تهدف إلى اختبار الجيش البيزنطي الذي تراجع نحو المناطق الشمالية لإفريقية، غير أن فتح بلاد المغرب استغرق فترة زمنية طويلة نسبيا تعددت خلالها الحملات إلى حين وصولها إلى المغرب الأقصى والأندلس. ومهّد هذا الفتح إلى تلاقح الثقافتين الإسلامية والإفريقية مما أفرز تحولات حضارية جذرية شملت جميع المجالات الثقافية والعلمية والاجتماعية والعمرانية أدخلت بلاد المغرب كطرف فاعل في الحضارة الإنسانية.

1. حركة الفتح الإسلامي ببلاد المغرب كدعوة للتغيير و البناء

إن الدارس لحركة الفتح الإسلامي ببلاد المغرب الاسلامي بكل جوانبه المادية والروحية يتبين له قيمة وعظمة الرسالة بكونها موجهة لكل الأمصار والأقطار، إلى كل الصفات والأجناس من الشعوب وهي متواصلة إلى آخر الأزمان إلى أ، يرث الله الأرض ومن عليها لقوله تعالى"(وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ)[1]. وأساسها التوحيد المطلق لوحدانية الله عز وجل، ففي أولى الحملات التي قادها عبد الله بن أبي سرح سنة 27هـــ/648 م للإفريقية وهذه الأخيرة كانت تحت سيطرت جرجير، وقد ظل يدعوه إلى الإسلام لأن قبول الصلح أو الإسلام من المرتكزات الأساسية للدعوة ولذلك أننا نلتمسها من خلال حركة الفتح، فهي أهم شرط في صلح المسلمين من غيرهم وكما يفيدنا النويري: "أن ما أصاب المسلمون قبل الصلح فهو لهم، وما أصابوه بعد الترداد (رد عليهم)"[2]، ومن خلال هذه الدعوة سلكت حركة الفتح طريقين موازيين لبعضها في أغلب الحالات.

(1) القرآن الكريم، سورة سبأ، الآية 28.

(2) النويري (شهاب الدين بن عبد الوهاب)، **نهاية الأرب في فنون الأدب**، تح عبد المجيد ترحيني، ج24، دار الكتاب العلمية، بيروت، لبنان، د ت، ص8.

أ. **الطريق الأولى**: وهو الدعوة عن طريق الحملات العسكرية وقد امتدت في عهد عبد الله ابن ابي سرح سنة 27هـ إلى غاية عهد حسان بن النعمان 73-86هـ[1].

ولقد امتازت حركة الفتح على أن قادتها لم يكونوا عسكريين تقليديين ومما جعل لها صبغة دعوية مباشرة، كانوا مجاهدين في سبيل اعلاء كلمة الله ومحاربة الكافرين، وقد عبر على ذلك عقبة بن نافع:" إني بعت نفسي من الله تعالى بيعا مربحا أن أجاهد من كفر حتى ألحق الله"[2].ولقد غلبت على الشخصية الدعوية أنه كان لا يهتم بمظاهر أو مراكز أو نتائج سياسية انما يجاهد في سبيل الله لا ينظر لغير الله، فقد وضع سياسته عندما كان في وجوه العساكر من التابعين والعباد يدور بهم حول القيروان وهو يدعو لها فقال:" يا رب أملأها فقها وعلما واعمرها بالمطيعين والعابدين واجعلها عزا لدينك وذلا لمن كفر بك وأعز بها الاسلام"[3].ونستنتج من ذلك ان حملته الكبرى غربا خلقت نتائج بعيدة المدى بالنسبة لمستقبل الاسلام رغم نهاية عقبة المؤسفة. وبالإضافة إلى ذلك قلت نظره في السياسة تحول عند أهل المغرب إلى شخصية دينية جليلة تركت في النفوس أثر عميقا، وبينت حقيقة الجهاد في سبيل الله اذ لم يخلف أثرا سياسيا يذكر، وبالإضافة إلى ذلك ينص شيت الخطاب أن عقبة بن نافع كان يتمتع بصفات قيادية وكفاية عسكرية مما جعل نظرية في المبادئ الاستراتيجية كمبدأ المباغتة وتحشيد القوات، والاقتصاد في الجهود والالتفاف والمحافظة والمعنويات، والأساليب التعرضية، واقامة المسالح وتضامين خطوط المواصلات وذليل الأمور الادارية واستخدام القواعد الأمنية والاستخبارية والاستطلاعية، وكل ذلك كان يطبقه في أعماله الجهادية، وفتوحاته الاسلامية.

والمتمعن في مسار الفتح لم يكن للمجابهة العسكرية رغم ما في ذلك من تخطيط عبقري، ولكن اخراج العباد من الظلمات الجهالية والبدائية، وينقل لنا رقيق القيرواني والنويري رواية تبين

(1) اسماعيل سامعي، **قضايا تاريخية في تاريخ المغرب الإسلامي**، ديوان المطبوعات الجامعية، 2012م.ص10.

(2) الرقيق القيرواني، **تاريخ إفريقية والمغرب**، ط1، تح محمد زينهم محمد عزب، دار الفرجاني، 1994م،ص41.-النويري، المصدر السابق، ج 24/ ص13.

(3) الرقيق القيرواني، تح محمد زينهم محمد عزب، المصدر السابق، ص ص41 -42. - النويري، المصدر السابق، ص12.

هذا الاتجاه تقول" إن عقبة أخبر أن قوما من البربر في السوس الأدنى ليس لهم دين يأكلون الميتة ويشربون الدم من أنعامهم وهم أمثال البهائم يكفرون بالله ولا يعرفونه "[1] .فغير عقبة وجهته نحو الجنوب بعدما أصبح على أبواب الاندلس حيث بنى رباطا، وانتدب اليهم خيرة رجاله المتعلمين الدعاة وعلى رأسهم شكر لتعليم الناس، والرفع من مستواهم العلمي والاجتماعي بعد أن كانت حياتهم تميزها الهمجية وعدم الانتظام.

ومن تقاليد الفاتحين أنهم كانوا كلما فتحوا بلدا أقاموا مساجدا وعينوا قاضيا وأمر من أهله[2]. ولقد واصل الفاتحون في بلاد المغرب الاسلامي الفتح والدعوة إلى الاسلام بشقيه السياسي والدعوي والعسكري، وأدركوا أن الانتقال إلى جانب الدعوي السلمي يتطلب أمرين هما القضاء على الوجود البيزنطي الرومي، آخر هو الاستقرار في مختلف مناطق بلاد المغرب الاسلامي قصد احداث التمازج البشري والثقافي، وهذا ما تنبه إليه عقبة بن نافع عندما اختط مدينة القيروان سنة 50هـ/670 م، وجعلها قريبة من السكان المحليين البربر.

وإذ تدخل حملة ابي مهاجر دينار العسكرية في هذه الاستراتيجية، وكان المقصد من ورائها تحقيق هدفين أولهما تطهيري ضد الرومان لاسيما الساحل، والثاني استقراري حيث اتخذ من ميلة الموجودة في المغرب الأوسط قاعدة، ومواصلا السير نحو حاضرة تلمسان، ولا يخفى أن ابا المهاجر دينار إبن أبي دينار كان يمتاز بخبرة عسكرية ميدانية عالية وضبط اداري رفيع المستوى، وخبرة بالطبيعة لإفريقية الكافية[3].

ولقد تكللت هذه الاستراتيجية العسكرية في الفتح من قبل عقبة ابن نافع، وأبي المهاجر الدينار بتحقيق الحرية للبربر الذين تعودوا عليها وعدم الخضوع لأجنبي، وقد ترسخت فيهم عادات وتقاليد قديمة يصعب القضاء عليها في وقت قصير، وكان لابد اتباع اسلوب يضمن لهم

(1) الرقيق القيرواني، تح محمد زينهم محمد عزب المصدر السابق، ص43. – النويري ، المصدر السابق، ص ص14-15.

(2) ابن عذارى، المصدر السابق، ج1، ص43.

(3) محمود شيت الخطاب، المرجع السابق، ص144.

كرامتهم وحريتهم، وقد عمل كل منهما على السير ضمن المنهاج، لذلك نلاحظ ان ابو المهاجر الدينار منذ أيام قليلة على ولايته لإفريقية واصل عليها[1]،وكان من الممكن أن تأتي سياسته أكلها لو لم يعزل، ويتخلى عنها لخليفته عقبة الذي دفع حياته وحياة الكثيرين من جنده في تهودة، وأدت هذه الواقعة إلى انتكاسة سياسية كبيرة فخسرت حركة الفتح قاعدتها الاساسية القيروان.

لقد كانت حركة الفتح لبلاد المغرب الاسلامي العسكرية في اوج عطاءها محققتا مرادها، وكانت مصاحبة معها مشروع بنائي يساهم في عملية الفتح من الجانب الدعوي والاقتصادي، أين نلاحظ أن حسان بن النعمان إذ قام بوضع مخطط اقتصادي يساهم في تواصل سكان المغرب الاسلامي في ممارسة النشاطات في جميع المجالات، معتبرا على أن الاسلام دين ودولة، حيث قام بإصلاح دار الصناعة وأصلح الموانئ[2] ، التي ستكون بدوها الدرع الحامي لسواحل المغرب الاسلامي بتونس[3]، علما أن حركة التصنيع عامل مهم في النشاط الاقتصادي عامة والزراعة والتجارة خاصة، داخليا وخارجيا، كما دون حسان الدواوين وصالح من ألقى بيده على الخراج، وكتب الخراج على العجم بأفريقية، وعلى من أقام معهم على النصرانية من البربر والروم[4] ، كما يعد حسان أول من اعتبر القبائل وحدات ادارية مالية يعين لكل منها عامل خراجها وقاضيها ويقرر عليها خراجها أو جزيتها، ومن ثم فقد أرسل إلى القبائل الكبرى دعاة يدعون أهلها إلى الاسلام ويرشدونها إلى قواعده، ويقومون بالقضاء بينهم بشريعة الاسلام ويجمعون ما تقرر عليهم من الأموال، وقد تحمس البربر للإسلام لأنهم وجدوا فيه نظاما تشريعيا كانوا في أشد الحاجة اليه، رغم بقاء القوانين العرفية سارية في الكثير من مناحي الحياة، ولكنها عدلت بحيث لا تتنافي وتعاليم الاسلام فأصبح بذلك العرف البربري إسلاما، فكان إسلام البربر صحيحا وسليما وعميقا[5]، كما

(1) عبد الواحد ذنون طه، **دراسات في تاريخ وحضارة المغرب الإسلامي**، دار المدار الإسلامي، ليبيا، 2004م، ص44.

(2) المالكي (أبو بكر عبد الله بن محمد)، **رياض النفوس**، تح بشيرالبكوش والعروسي المطوي، ج1، دار الغرب الإسلامي، 1983م، ص57.

(3) الرقيق القيرواني، تح محمد زينهم محمد عزب، المصدر السابق، ص50.

(4) نفسه، ص50.

(5) ابن عذارى، المصدر السابق، ص19.

أن المرحلة القادمة للصراع مع الروم سيكون مجالها البحر، وكانت لابد على أن تظهر فيها وسائل دفاعية على السواحل بلاد المغرب الاسلامي وخاصة سواحل افريقية كالحصون والربطات، للاستعداد لصدها، وكان التحول الكبير الذي حدث في عهد حسان بن النعمان على حد قول المالكي بقول:" استقامة افريقية كلها، أمن أهلها وقطع الله عز وجل مدة أهل الكفر وصارت دار الاسلام إلى وقتنا هذا وإلى أخر الدهر"[1].

ب. **الطريق الثاني**: أن الغاية من الفتح الاسلامي لبلاد المغرب هو اعلاء كلمة الله فوق كل شيء، ولذلك يتوجب على الفاتحين اتخاذ الاسلوب السلمي في الفتح والطريق الدعوي بواسطة نشر الاسلام بالعلم والمعرفة، وكانت هذه مصاحبة للحملات العسكرية، بحيث كان لكل حملة يخوضها المسلمين جماعة من الصخابة وأبنائهم والتابعين ممن كانت لهم دراية معرفية بتعاليم الاسلام، أصولا وفقها ، ومن ميزات القادة أنهم عسكريين من الدرجة الأولى ودعاة في الجهة الأخرى أي انهم كلما توجب الدعوة كانوا في الواجهة الدعوية لنشر الاسلام أثناء المعارك، ونذكر من خيرة القادة المسلمين، كمعاوية بن حديج وزمعة البلوي[2] ونحن على ذكر هذا المنهج الدعوي بداية من الحملات التي أعلنها الخليفة سنة 27هـ/647 م، فكانت الجيوش الاسلامية متكونة من خير القادة المسلمين المعروفين ، عقبة بن نافع منهم العبادلة[3].

إن الدعوة إلى الاسلام ونشرة تتوجب توفر مراكز وأماكن تستقر وتتجمع فيه الناس من أجل تلقي تعاليم هذا الدين الحنيف، لذلك توجب على القادة الحاكمين في بلاد المغرب الإسلامي بأن تشيد مدارس وكتاتيب، وكانت مدينة القيروان أولى الحواضر في نشر الدعوة الإسلامية، وحين قام عقبة بن نافع بخط القيروان رغبة في التقرب أكثر من سكان المغرب الإسلامي حتى

(1) المالكي، المصدر السابق، ج1، ص57.

(2) الدباغ (أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الأنصاري)، والتنوخي، **معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان**،ج1، تح إبراهيم شبوح، القاهرة، مكتبة الخا نجي، ص11.

(3) أبو العرب (محمد بن أحمد بن تميم)، **طبقات علماء إفريقية**، ج1، دار الكتاب البناني، د ت، ص68. – الدباغ، المصدر السابق، ص 32.

يشعرهم من أن مدينته لا تمثل احتلالا أجنبي لبلادهم[1]، وعند وصول عقبة ابن نافع إلى غرب بحر الظلمات حث الناس على بناء مقرا لهم ليكون أهلها مرابطون فقالوا" نقرب من البحر ليتم لنا الجهاد والرباط !" فقال عقبة :" اني أخاف أن يطرقها صاحب القسطنطينية بغتة فيملكها ! ولاكن اجعلوا بينها وبين البحر مالا يدركها صاحب البحر، إلا وقد علم به، وإذ كان بينها وبين البحر ما لا يوجب فيه التقصير للصلاة، فهم مرابطون !"[2]. وتذكر بعض المصادر أن عقبة كون شبان من أهل الحرب كان لهم فيما بعد دور هام وكبير في فتوح افريقية وبلاد المغرب الاسلامي ونشر الدعوة، ومن أمثال علي بن عمر القرشي، وزهير بن قيس البلوي، بسر بن أبي أرطأة، وشريك بن سحيم المرادي وغيرهم[3] .

وقد اتبع هذا المنهج من جاء من بعده كأبي مهاجر دينار حيث اتخذ من ميلة مركزا له وسط جموع البربر والروم، ليحقق الاختلاط البشري المعول عليه في دعم حركة الدعوة الإسلامية، وإحداث التغيير وإقامة البناء الجديد، ومن ثم إنشاء جيش بربري يساعد على تحقيق التحرير الكلي لشمال إفريقيا، والاستفادة من طاقة البربر، أفضل عنده من إهدارها في الحروب، ولتكون هذه الطاقة مادة أخرى للإسلام في بلاد المغرب الإسلامي[4]، وهو ما حققه حسان ابن نعمان عندما قام بطلب من البربر بعد الصلح إمداده بأثني عشرة ألفا فعقد منها " لوائين لولدي الكاهنة[5]، لكل واحد منهما على ستة آلاف فارس، وأخرجهم مع العرب يجولون في إفريقية يقاتلون الروم ومن كفر من البربر، وحسن إسلام البربر وطاعتهم[6]، حتى يحقق فتح النفوس والقلوب والعقول، لاسيما أنه أقام بها مسجدا كما سبق ذكره، لإشاعة نور الإسلام، وأنوار العلم والمعرفة، وحقق

(1) عبد العزيز سالم، **تاريخ المغرب الكبير**، ج2، دار النهضة العربية، بيروت، 1981م، ص215.

(2) ابن عذارى، المصدر السابق ص19.

(3) نفسه، ص19. – البكري المصدر السابق ص13.

(4) عبد الواحد ذنون طه، المرجع السابق، ص45.

(5) الكاهنة مقاومة بربرية عندما تيقنت نهايتها طلبت تأمين ولديها فأمنها حسان وقربهما منه وعينهما قائدين بجيوش البربر تم الاتفاق على التحاقهم بالجيش الإسلامي. الرقيق القيرواني، المصدر السابق، ص49.

(6) نفسه، ص50.

بذلك أبو مهاجر هدفين هو التوسع في الفتح وكسب السكان المحليين البربر، فأعاد بذلك سياسته وكياسته مما يمكن له التفرغ لنشر الإسلام بينهم بواسطة الوفود والدعاة الذين أرسلوا إلى مختلف القبائل، فدخل العديد منها الإسلام، ومن النتائج المحصل عليها كسب جانب البربر وانضمام زعيم اوربة كسيلة إليه[1]، وإلى جانب الدعاة، وفي هذا النهج تأتي أعمال موسى بن نصير 86-96هـ/705-715 م، حيث أنه لما فتح بلاد المغرب الإسلامي استعمل على طنجة طارق بن زياد، وأمر العرب المسلمين من جيشه أن يعلموا البربر القرآن ويفقهوهم في الدين، وحسب الرقيق القيرواني كانوا سبعا وعشرين معلما وداعيا[2].

2. المغرب الإسلامي في عصر الولاة

أ. ولاة المغرب الإسلامي في العصر الأموي

استشار الخليفة "سليمان بن عبدالملك" فيمن يصلح لولاية إقليم المغرب، فأشار عليه المحيطون به بمحمد بن يزيد مولى قريش(97-100هـ/716-718م)[3] ، لما يتمتع به من صفات الفضل والحزم، فوقع عليه اختيار الخليفة "سليمان بن عبد الملك"، ومنحه ولاية "المغرب" وأوصاه بقوله: "يا محمد بن يزيد اتق الله وحده لا شريك له، وقم فيمن وليتك بالحق والعدل. اللهم اشهد عليه"[4]، فعمل "محمد" بهذه الوصية منذ تولى مقاليد البلاد، واستقر بالقيروان، فأقام سياسة العدل بين سكان هذه البلاد، وسار فيهم بأحسن سيرة، ثم عمد إلى تحديد النشاط العسكري، وأرسل السرايا والبعوث إلى أماكن متفرقة من أرض المغرب، فحققت نجاحًا ملحوظًا فيما ذهبت من أجله، وعادت بالمغانم الكثيرة والنصر المظفر. وظل "محمد بن يزيد" واليًا على "المغرب" حتى وفاة "سليمان بن عبدالملك"، فعزل من ولايته بعد أن قضى بها سنتين وعدة أشهر.

---

(1) عبد العزيز سالم، تاريخ المغرب، ص216.

(2) الرقيق القيرواني، **تاريخ إفريقية والمغرب**، ط1، تح عبد الله العلي زيدان وعز الدين عمر موسى، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1990م.ص40.

(3) ابن عبد الحكم، **فتوح مصر والمغرب**، ج1، تح عبد المنعم عامر، دار الذخائر، د ت، ص287. ابن عذارى، المصدر السابق، ص47. النويري، المصدر السابق، ص29.

(4) النويري، المصدر السابق، ص29.الرقيق، المصدر السابق، ص60.

- ولاية اسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر (100-101هـ/718-719م) اختاره الخليفة "عمر بن عبدالعزيز" لصفاته الحسنة وسمعته الطيبة[1]، لتولى هذا المنصب في سنة (100هـ-718م)، وبعث معه مجموعة من التابعين، منهم: "سعد بن مسعود التجيبي"، لمعاونته في نشر الإسلام، وتعليم الناس قواعده، وقد أثمرت سياسة "إسماعيل" الطيبة بين الرعية، في إقبال البربر على اعتناق الدين الإسلامي، وأسلم جميع البربر في أيامه كما ذكر "ابن عبد الحكم"[2].

وقد استطاع اسماعيل بن عبيد الله أن يحدث نقلة كبرى في بلاد المغرب في الناحية الدينية فحسب، بل وفي العمران، والزراعة، والتجارة أيضا فلقد أعطى المغرب اهتمامه من جميع النواحي، وهذه سياسة الحكمة وسياسة العدل في الرعية، الأمر الذي أدى إلى نشاط في الزراعة وازدهارها في التجارة فعمرت الأسواق وازدهرت البلدان، وأما المجال الديني فقد اهتم اهتماما بالغا ببناء المساجد.

- يزيد بن أبي مسلم (102هـ/720م) لم يُقر الخليفة "يزيد بن عبدالملك" الذى تولى الخلافة خلفًا لعمر بن عبدالعزيز في سنة (101هـ - 720م)[3] سياسة اللين والتسامح التي انتهجها الخليفة السابق "عمر"، واستوجب ذلك تغييرًا عاما في سياسة الدولة، فعزل جميع الولاة، وعين آخرون مكانهم. وكان "يزيد بن أبي مسلم" من بين الولاة الجدد.

أقبل "يزيد" إلى "القيروان" في سنة (101هـ-720م)، وتولى مقاليد الأمور فيها، واتبع سياسة الشدة والحزم تجاه أهل "المغرب" مثلما اتبعها مع أهل "العراق" من قبل، وفرض الجزية على مَن أسلم من أهل الذمة ليزداد الدخل المالي في خزينة الدولة، كما أنه خصَّ طائفة من قبيلة "البتر" البربرية بحراسته دون غيرها، وأساء إلى آل "موسى بن نصير" وبعض الشخصيات العربية المقيمة بالقيروان، فأثار عليه ذلك حفيظة بعض حرسه من غير "البتر" وقتلوه[4].

(1) الرقيق، المصدر السابق، ص61. ابن عبد الحكم، المصدر السابق، ص287. ابن عذارى، المصدر السابق، ص48.

(2) ابن عبد الحكم، المصدر السابق، ص287. الرقيق، المصدر السابق، ص61. ابن عذارى، المصدر السابق، ص48.

(3) نفسه، ص 48.

(4) السلاوي، المصدر السابق، ص159. ابن الأثير ، المصدر السابق، ص354. ابن عبد الحكم، المصدر السابق، ص289.

- بشر بن صفوان (102-109هـ/721-727م): تحرك "بشر" تجاه "المغرب" في أواخر سنة (102هـ-721م)، وقد بدأ أعماله بالتحقيق في مقتل "ابن أبي مسلم"[1]، واكتشف أن هناك بعض المحرضين للجند على فعل ذلك لإشعال الفتنة، فأمر بإعدامهم كما أمر بعزل "الحسن بن عبدالرحمن" والي "الأندلس" من منصبه، وولى مكانه "عبدالله بن سحيم الكلبي"[2]، ثم قام في سنة (109هـ- 727م) بحملة بحرية على "جزيرة صقلية"، وعاد منتصرًا ومحملا بكثير من المغانم والأسلاب[3]، ثم مرض عقب عودته من هذه الغزوة، ومات في العام نفسه.
- عبيدة بن عبدالرحمن السلمي (110-115هـ/728-732م): أثناء وصوله إلى القيروان من نفس السنة قام بإرسال "المستنير بن الحبحاب الحرشي" أحد القادة العسكريين على رأس حملة بحرية إلى "صقلية"، ولكن هذه الحملة لم تحقق نجاحًا، وغرقت معظم سفنها[4].

وقد عين "عبيدة" بعض الولاة من قِبله على "الأندلس" في سنة (114هـ-732م)[5]، ثم توجه إلى مقر الخلافة بدمشق، وطلب إعفاءه من منصبه، فأُجيب إلى مطلبه.

- عبيد الله بن الحبحاب السلولي (116-123هـ/734-741م): وصل "عبيد الله" إلى "المغرب" في سنة (116هـ-734م)[6]، وبدأ ولايته بتجهيز حملة بقيادة "حبيب بن أبي عبيدة بن عقبة بن نافع"، وبعث بها لفتح بعض المناطق، لتأمين الأقاليم الإسلامية بالمغرب، فتوغلت هذه الحملة حتى وصلت إلى "السوس الأقصى"، وأرض "السودان"، وحققت الأهداف التي خرجت من أجلها.

وقد انتهج "عبيد الله" سياسة مغايرة لسابقيه، فأسرف في جمع الأموال مستخدمًا القسوة والقوة وشرع في تخميس البربر، أي اعتبر من أسلم منهم ومن لم يسلم فيئًا للمسلمين، بخلاف ما اعتاد عليه هؤلاء البربر حيث منح الولاة من أسلم منهم نفس الحقوق والواجبات الخاصة بالمسلمين كما أنه أزكى نار العصبيات القبلية، حيث حابى أبناء قبيلته من القيسية وأساء معاملة اليمنية وغيرهم، فكانت النتيجة أن قامت الثورات المدمرة في أقاليم "المغرب"، ودخل البربر في

(1) ابن عبد الحكم، المصدر السابق، ص290.

(2) ابن عذارى، المصدر السابق، ص49.

(3) نفسه، ص49.

(4) ابن عبد الحكم، المصدر السابق، ص50.

(5) نفسه، ص50.

(6) نفسه، ص51.

صراع مسلح مع ولاتهم من العرب، وترتب على ذلك انفصال "المغرب الأقصى" عن سلطة الخلافة بدمشق.

- كلثوم بن عياض القشيري (123-124هـ/741-742)[1]: وقع اختيار الخلافة عليه، لتولى مقاليد الأمور بالمغرب، ومواجهة الأحداث الخطيرة التي نشبت على أرضه، وتوجه على رأس جيش كبير تعداده سبعون ألف مقاتل إلى هذه البلاد[2]، ودعمته الخلافة بكل ما يحتاج إليه، ووصل على رأس جيشه إلى "بقدورة"[3] بالمغرب الأقصى، ودخل في معركة شرسة مع جحافل البربر[4]، وقد انتهت هذه المعركة بهزيمة جيش العرب، فضلا عن مقتل "كلثوم" نفسه ومعه كثير من زعماء الجيش[5]، وفر الباقي إلى "طنجة" ومنها إلى "الأندلس".
- حنظلة بن صفوان الكلبى (124-127هـ/462-475م): لما علم الخليفة هشام بن عبد الملك بقتل كلثوم بن عياض والي افريقية في موقعة "بقدورة" عين على إفريقية والمغرب في نفس السنة 124هـ "حنظلة بن صفوان" الذي كان واليا على "مصر"[6]. ووصلت الأخبار إلى "حنظلة" بمسير البربر إليه في جيشين كبيرين، أحدهما بقيادة "عكاشة الصفري الخارجي"، والآخر بقيادة "عبدالواحد بن يزيد الهوارى"، وقد سار الجيشان في طريقين مختلفين، فاضطر "حنظلة" إلى لقاء كل جيش على حدة، وبدأ بمحاربة جيش "عكاشة" وأنزل به هزيمة كبيرة[7]، أعادت الثقة إلى نفوس جيشه، ثم كان اللقاء الثاني بجيش "عبدالواحد" عند "باجة"، ودارت بين الفريقين معركة عنيفة، انتهت بهزيمة جيش الخلافة وعودة ما تبقى منه إلى "القيروان" استعدادًا لمحاولة ثانية. ثم حشد "حنظلة" كل ما استطاع من قوة، وخرج للقاء البربر، ودارت بينهما معركة، أثبت جيش "حنظلة" فيها كفاءة عالية وصبرًا على القتال، فانتصر جيش الخلافة وقُتل "عبدالواحد" قائد البربر، فضلا عن مقتل عدد كبير من جنوده، فمكن هذا النصر للأمويين في البلاد، ودعم وجودهم فيها،

(1) ابن عذارى، المصدر السابق، ص54. ابن الأثير، المصدر السابق، ص457.

(2) مؤلف مجهول، **أخبار مجموعة في فتح الأندلس**، تح ابراهيم الأبياري، ط1 دار الكتاب المصري، القاهرة، 1981م، ص36.

(3) بقدورة على ضفاف نهر سبو في المغرب الاقصى. انظر ابن عذارى المصدر السابق، ص55.

(4) نفسه، ص37.

(5) ابن عبد الحكم، المصدر السابق، ص296. ابن عذارى، المصدر السابق، ص55.

(6) النويري، المصدر السابق، ص33.

(7) الرقيق، المصدر السابق، ص69. ابن عذارى، المصدر السابق، ص57.

وعمد "حنظلة" إلى إقرار الأمن والطمأنينة في النفوس، ثم بعث بأخبار هذا النصر إلى مركز الخلافة "بدمشق" في شعبان سنة (125هـ- 743م)، فتوافق هذا الوقت مع وفاة الخليفة "هشام بن عبدالملك"، وتولى "الوليد الثاني بن يزيد" خلفًا له.

ب.الولاة في المغرب الإسلامي في العصر العباسي

- عبد الرحمن بن حبيب الفهري (132-138هـ/749-755م): استقر "عبدالرحمن بن حبيب" بالقيروان في سنة (127هـ)، وعمل على الاستقلال بالمغرب، فواجه العديد من ثورات البربر، ولكنه تمكن من التغلب عليها، وهاجم معاقلهم، وقضى على تجمعاتهم، ثم أرسل حملتين عسكريتين في سنة (135هـ- 752م) إلى جزيرتي "صقلية" و "سردانية"، فحققت الحملتان أهدافهما، وعادتا منتصرتين.

فلما قامت الدولة العباسية، أسرع "عبدالرحمن بن حبيب" بالخطبة للعباسيين على المنابر، وأرسل لهم مبايعته وطاعته، فرحب به الخليفة العباسي "أبو العباس السفاح" وأقره على ولايته، ولكن الأمور تغيرت في عهد "أبي جعفر المنصور"، الذى تولى الخلافة في ذي الحجة سنة (136هـ- مايو 754م)، حيث أقر "عبدالرحمن" على "المغرب" في البداية، ثم توترت بينهما العلاقات، فخلع "عبدالرحمن" طاعة العباسيين واستقل بحكم إقليم "المغرب الأدنى".

ولقد حاول "عبدالرحمن بن حبيب" نقل ولاية العهد من أخيه «إلياس» إلى ابنه "حبيب"، فدبر له "إلياس" مؤامرة انتهت بقتله في سنة (137هـ-754م) بعد أن قضى نحو عشر سنوات بالحكم[1]، أمضاها في معارك متصلة ضد الثائرين والخارجين، ومن ثَم ثارت جموع البربر، وعادت الاضطرابات إلى المنطقة ثانية، وتمكن "إلياس" من إحكام سيطرته على "القيروان"، إلا أن "حبيب بن عبدالرحمن" دخل في صراع طويل معه، وانتهى الأمر بمقتل إلياس في سنة (138هـ- 755م)[2]، وتولى "حبيب" مقاليد الحكم بالقيروان، ولجأ عدد من أفراد أسرته إلى قبيلة "ورفجومة" البربرية، وكان زعيمها "عاصم بن جميل كاهنا" يدعى النبوة، فدخل "حبيب" في

(1) الرقيق القيرواني، المصدر السابق، ص78.

(2) نفسه ، ص80.

حروب مع هذه القبيلة، ولكنهم هزموه، فاضطر إلى الفرار، ودخل "عاصم" "القيروان" واستحل حرماتها وخرب مساجدها وقضى على مظاهر حضارتها[1].

وهكذا سقطت "القيروان" في قبضة هذه القبيلة التي أساءت معاملة الناس، فاضطر بعضهم إلى اللجوء والاستنجاد بالخلافة العباسية[2]، ولجأ آخرون إلى "أبي الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري"[3] وكان أحد وجوه العرب، ويعتنق المذهب الإباضي، فهب لنجدتهم، وجمع مَن حوله من البربر المعتنقين لآراء الخوارج، وأثار فيهم الحمية، ثم خرج بهم لملاقاة قبيلة "ورفجومة"، فاستولى على "طرابلس"، ثم قصد "القيروان" في سنة (141هـ- 758م) ، وتمكن من قتل "عاصم بن جميل" وعدد كبير من أتباعه، ودخل مدينة "القيروان"[4].

وحين علم الخليفة العباسي "أبو جعفر المنصور" بما حدث ببلاد المغرب، عين "محمد بن الأشعث بن عقبة الخزاعي" على ولاية "مصر"[5]، وأمره بمعالجة الأمور بالمغرب، فاضطر "ابن الأشعث" بعد فترة إلى الخروج بنفسه على رأس الجيش إلى "المغرب" للقضاء على نفوذ الإباضية فيها، وقد تمكن من ذلك بعد عدة حروب، وقتل "أبا الخطاب" وأتباعه، ثم دخل مدينة "القيروان" في سنة (144هـ- 761م)[6]، وتولى مقاليد الأمور بها، وبنى حولها سورًا كبيرًا لحمايتها، ثم هاجم معاقل البربر[7]، وقضى على تجمعاتهم، ولكنه أساء معاملة جنده، فثاروا عليه، وأجبروه على التخلي عن الولاية، والعودة إلى المشرق في ربيع الأول سنة (148هـ- 765م)[8].

- الأغلب بن سالم التميمي (148-150هـ/765-767م): وقع اختيار الخلافة عليه لتولى إفريقية، لحزمه وشجاعته وسداد رأيه، فدخل "القيروان" في جمادى الآخرة سنة (148هـ- 765م)[9]،

(1) الرقيق القيرواني، المصدر السابق، ص81. – ابن عذارى، المصدر السابق، ص70.

(2) السلاوي، المصدر السابق، ص 55. – ابن خلدون، المصدر السابق،ج4،ص 191.

(3) النويري، المصدر السابق، ج24،ص72-73.

(4) ابن خلدون، المصدر السابق، ج4،ص191.

(5) ابن عذارى المصدر السابق، ج1،ص72.

(6) النويري، المصدر السابق، ج24،ص75-76.

(7) ابن عذارى، المصدر السابق، ج1،ص72-73.

(8) البلاذري ، **فتوح البلدان**، تح عبد الله وعمر أنيس الطباع، مؤسسة المعارف، بيروت، 1407هـ، ص325.

(9) ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، ج5، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، 1987م، ص186.

وبلغه احتشاد البربر بقيادة "أبي قرة بن دوناس" الخارجي في"تلمسان" للتوجه إلى "القيروان"، فخرج "الأغلب" بجنوده لملاقاتهم[1]، ولكنهم انسحبوا إلى "المغرب الأقصى" دون قتال، فانتهز "الحسن بن حرب الكندي" فرصة خروج الجيش من "القيروان" واحتلها، فلما علم "الأغلب" بذلك دخل مدينة "قابس" استعدادًا لطرد هذا المحتل، ثم دخل معه في معركة حامية، واستشهد "الأغلب"، وصمد جيشه، وتمكن من قتل "الحسن بن حرب" وهزيمة جيشه.[2]

- عمر بن حفص بن عثمان بن قصيبة المهلبي (151-154هـ/768-771م): وقع عليه اختيار الخلافة لتولى مهام إقليم "المغرب" عقب استشهاد "الأغلب بن سالم التميمي"، وكان "عمر" رجلاً شجاعًا، ذا شخصية قوية، فدخل مدينة "القيروان" في سنة (151هـ- 768م)[3]، وانتهج سياسة جديدة تجاه أهلها وعاملهم بالحسنى، وتودد إلى زعمائها وأنزلهم منازلهم، فاستقرت له الأوضاع، وهدأت الأمور، ثم خرج إلى مدينة "طبنه" لإصلاح أحوالها، وبناء سورها[4]، ففاجأته جموع البربر، وحاصرت مدينة "القيروان"، كما حاصرته مع جنوده بمدينة "طبنه"، فلجأ إلى استعمال الحيلة، وأغدق بالأموال على الجيش المحاصر لطبنه، فانصرف عدد كبير من جنود البربر عن المدينة، وتمكن "عمر" من هزيمة الجزء المتبقي منهم، ثم دخل "القيروان" بالحيلة والتمويه، وتولى مهمة الدفاع عنها، ولكن "إباضية" "طرابلس" بزعامة "أبي حاتم" كانوا قد أحكموا حصارهم وسيطرتهم على "القيروان"، وظلوا كذلك ثمانية أشهر، فساءت الأوضاع داخل المدينة، واضطر الناس إلى أكل دوابهم وخيولهم، وفشلت كل محاولات "ابن حفص" لفك الحصار عن المدينة، فخرج على رأس قواته، ودخل في معركة شديدة مع المحاصرين، فاستشهد هو وكثير من رجاله في سنة (154هـ- 771م) ودخل "الإباضية" بقيادة "أبي حاتم" المدينة.

- يزيد بن حاتم بن قبيصة المهلبي (145-170هـ/771-787م): تولى "يزيد بن حاتم" إمرة "مصر" في عهد الخليفة "أبي جعفر المنصور" في سنة (144هـ-761م)، وأثبت فيها كفاءة عالية[5]، فوقع عليه اختيار الخلافة ليكون واليًا على "المغرب"، وجهز له الخليفة جيشًا كبيرًا، ضم تسعين ألف

(1) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج5، ص187.

(2) نفسه، ص187.

(3) ابن عذارى، المصدر السابق، ج1،ص75.

(4) ابن خلدون، المصدر السابق، ج1،ص246.

(5) الرقيق القيرواني، المصدر السابق، ص87. – ابن الأثير، المصدر السابق، ج5،ص205.

مقاتل[1]، وتم تجهيزه بثلاثة ملايين درهم، وخرج "يزيد" على رأس الجيش قاصدًا إفريقية، ووصلها في سنة (154هـ- 771م)، فانضمت إليه فلول الجند المنهزمة أمام "أبي حاتم"، وتم اللقاء بين الجيش العباسي وجيش الخوارج بقيادة "أبي حاتم" في شهر ربيع الأول سنة (155هـ- 772م)، فكانت المعركة حاسمة، وهُزم جيش الخوارج، وقتل قائده "أبو حاتم"، وبعث "يزيد" بجنوده لاستئصال شأفة الخوارج ثم دخل "القيروان" رافعًا أعلام العباسيين، وبث الطمأنينة في نفوس أهلها، ومات "يزيد بن حاتم" بالقيروان في سنة (170هـ- 786م)، فخلفه ابنه "داود" في الولاية.

- داود بن يزيد بن حاتم (171هـ/788م): تولى "داود" مقاليد الأمور خلال فترة مرض والده كمعاون له، فلما مات والده، تولى إدارة البلاد ريثما تتخذ الخلافة قرارها، وواجه ثورة الإباضية بحزم، وحافظ على ما حققه والده من انتصارات ومكاسب، ولم يستمر في الحكم سوى تسعة أشهر[2]، ثم سلم مقاليد الأمور إلى عمه "روح ابن حاتم"، وعاد إلى المشرق[3].

- روح بن حاتم (171-174هـ/787-790م) : اختاره الخليفة "هارون الرشيد" خلفًا لأخيه "يزيد" فقدم إلى إفريقية في سنة (170هـ-787م)[4]، وتولى مقاليد أمورها، وأحدث تغييرات في إدارتها، وقضى على ثورات ما تبقى من البربر بها، فهدأت أوضاعها، واستقر أمنها ثم مات "روح" في رمضان سنة (174هـ- 791م).

- نصر بن حبيب المهلبي (174-177هـ/791-793م): اقتفى "نصر" سياسة الوالي السابق، وعدل بين الناس وحسنت سيرته بينهم، ولكنه لم يستمر طويلا في الولاية، حيث تم عزله بعد سنتين وثلاثة أشهر قضاها في الحكم.

- الفضل بن روح بن حاتم (177-179هـ/793-795م): اختاره "الرشيد" بدلا من "نصر ابن حبيب"، فوصل إلى مدينة "القيروان" في سنة (177هـ- 793م)، وجعل ابن أخيه "المغيرة ابن بشير بن روح" على مدينة "تونس"، وكان "المغيرة «،غِرا تنقصه التجارب والكياسة، فأساء معاملة الجند، وفرق بينهم في المعاملة، فثاروا عليه بقيادة "ابن الجارود" المعروف بابن عبدويه، وعزلوه عن

(1) الرقيق القيرواني، ص92.

(2) ذكر الرقيق، ص272. أن ولاية داود كانت سبعة أشهر ونصف. – النويري، المصدر السابق، ص48.

(3) النويري، المصدر السابق، ج24،ص48.

(4) ابن خلكان، **وفيات الأعيان**، مج2،تح إحسان عباس، دار صادر، بيروت، د ت، ص306.

"تونس"، وأودعه السجن فترة، ثم قتله في شعبان سنة (178هـ- 794م)، فلما بلغ "الرشيد" ذلك بعث بيحيى بن موسى إلى "تونس" برسالة ليهدئ النفوس، ويدعو "ابن الجارود" إلى "بغداد"، فامتثل "ابن الجارود" للأمر، وهدأت الثورة، وعين الخليفة "الرشيد" "هرثمة بن أعين" على إفريقية.

- هرثمة بن أعين (179-180هـ/790-796م) : تسلم "هرثمة" مهام منصبه بالقيروان في ربيع الآخر سنة (179هـ- 795م)، فنهج سياسة حسنة في رعاياه، وأعاد إليهم استقرارهم وأمنهم، ثم شرع في العمران والبناء، فأنشأ سورًا حول "طرابلس"، وبنى القصر الكبير بالمنستير، و لم تحدث في عهده ثورات ذات أهمية، سوى ثورة "عياض بن وهب الهوارى"، إلا أن "هرثمة" استطاع القضاء عليها في مهدها. ظل "هرثمة" بإفريقية نحو سنتين ونصف السنة، ثم ألح على الخلافة في أن تعفيه من منصبه، فأجابه الخليفة إلى طلبه، وعاد "هرثمة" إلى المشرق.

- محمد بن مقاتل العكي (181-183هـ/797-799م): اختاره "الرشيد" لتولى إمرة بلاد "المغرب الأدنى"، فوصلها في رمضان سنة (181هـ- 797م)، ويبدو أنه لم يكن على دراية بأوضاعها، وظروف الجند بها، فوقع في عدة أخطاء وقد تميزت فترته بالاضطراب، وحدوث صراعات مما عجل في سقوطه، وهكذا انتهى عصر الولاة بالمغرب الأدنى وبدأ عصر الاستقلال الذاتي وظل الحكم إرثًا في "بنى الأغلب" بالمنطقة طيلة قرن من الزمان حتى سقطت هذه الأسرة على أيدى الفاطميين في سنة (296هـ-909م).

3. المغرب الإسلامي في عصر الدويلات

أ. دولة الاغالبة (184ـ296هـ/800ـ909م)

كانت هذه الدويلة ذات العلاقة الاسمية العباسية بخلاف دولة الادارسة التي كانت معادية للخلافة العباسية[1]، بدأ الأغالبة عندما استطاع ابراهيم بن الأغلب ان يوقف زحف دولة الأدارسة ، وقد انتهت هذه الدولة كما انتهت من قبلها دولة الادارسة على يد العبيديين الفاطميين خلال حملتهم التوسعية في المغرب العربي .

(1) حسن أحمد محمود وأحمد الشريف، **العالم الإسلامي في العصر العباسي**، ط5، دار الفكر العربي، القاهرة، د ت، ص414.

بعد قيام دولة الادارسة في المغرب ، وحاول الرشيد ان يوقف نفوذهم وتقدمهم ، فاختار صديقا له يدعى "إبن الاغلب" و ولاه على القيروان (تونس)[1]. وافهمه ان مهمته الأولى هي :ايقاف الادارسة عند حدهم .واستطاع ابراهيم بن الاغلب بعد ان وصل الى "القيروان " ان يوقف زحف الادارسة العلوية، وان يقي الدولة العباسية شر غزوات البربر و الاغارة على الاقاليم الشرقية للدولة، وحقق ابراهيم بن الاغلب للرشيد ما اراد[2]. واستقل " ابراهيم بن الاغلب " بالإقليم، ولكنه ظل على علاقة بالخلافة العباسية، فهو يذكر اسم الخليفة في خطبة الجمعة، ويضع اسمه على العملة[3]، ولكن فيما عدا هذين الامرين فليس للخليفة العباسي أي نفوذ على دولة الاغالبة، فهم يتوارثونها ابا عن جد، و يصرفون امورها كما يشاؤون .

ولما قويت شوكة الاغالبة بدءوا التوسع، ولكن الادارسة حدوا من توسعهم غربا، و الصحراء حدهم جنوبا، و العباسيون شرقا، فلم يبق لهم سوى الاتجاه شمالا حيث البحر، فها هم اولاء ينشئون اسطولا ضخما، وانشاء الربط على سواحل افريقية يبنونه في سنوات معدودات وكانت في سنة 180هـ من طرف أعين بن هرثمة، وبذلك يبدؤون جهادهم المبارك ضد الصليبيين بقيادة "اسد بن الفرات " في البحر الرومي حاولوا فتح جزيرة "صقلية "[4] وكانت الربط الدور الأساسي في فتحها مرارا على مدى ثمانين عاما حتى استطاعوا القضاء على مقاومة الرومان من اهل الجزيرة وحكامها، وضموها لأراضي المسلمين، ثم استولوا على جزيرتي "مالطا" و"سردينيا" و نزلوا بعد ذلك في الكثير من السواحل الجنوبية لفرنسا[5].

- **العمارة في دولة الأغالبة:**

قام الامراء الأغالبة بصيانة المباني، فرمموا الحصون البيزنطية، واستوحوا منها نماذج لبناء الربط على ساحل سوسة، والمنستير، وسور صفاقس.

(1) حسين مؤنس، **معالم تاريخ المغرب والأندلس**، ط2، دار الرشاد، القاهرة،1997م، ص96.

(2) نفسه، ص96.

(3) نفسه.

(4) عبد العزيز الثعالبي، **تاريخ شمال إفريقيا من الفتح الإسلامي إلى نهاية الدولة الأغلبية**، تح أحمد بن ميلاد ومحمد ادريس، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1987م، ص212.

(5) نفسه، ص213.

وكانت عناية الاغالبة أكبر بجامع عقبة بن نافع في القيروان فأعاد الأمير زيادة الله الأول بناءه سنة 221هـ/836م، ثم تم توسيعه فيما بعد. وزاد الأغالبة في بناء وزخرفة جامع الزيتونة في تونس وجامع سوسة وجامع صفاقس.

وعاشت دولة الاغالبة قرنا وتسعة اعوام ، وازدهرت الحياة الاقتصادية و العمراني الحربي والتعليمي في دعم الحضارة الإسلامية، تمثلت في الربط في تونس على عهدهم ، ، وكان جامع الزيتونة ورباط سوسة والمنستير منبرا للعلم والتعلم. وقد انتهت حياتها على يد الفاطميين يوم دخلوا القيروان .

انتهى عصر الولاة بإفريقية بدخول ابراهيم بن الأغلب إلى القيروان[1]، ولقد كان بمثابة القوى التي ستحكم إفريقية بعد رحيل هرثمة بن أعين.

وقيام دولة الأغالبة التي كان لها الفضل في تأمين الإمارة عن طريق الأمراء ومحاولة تهدئة الأوضاع السائدة في المنطقة من حركة الخوارج وثورات البربر، وقد كان لقيامها بداية استقرار والبناء معيدا للخلافة الإسلامية هيبتها بعدما كانت على مشارف الاندثار مغربيا[2]، وقد كان ظهور الربط في افريقية على يد امير الأغالبة، من أجل حماية الثغور المهدد من طرف الأعداء، ذلك يتجلى من خلال اعتماد الأغالبة على مبدأ الحماية وكانت هذه الربط تحتوي على متطوعين الذين هم عصبة هذه البناية العسكرية ولقد كان لهم الأثر الكبير في الدفاع والجهاد في سبيل الله وفي سبيل تحرر البلد، والحد من الخطر الذي كان ولا يزال لطارد أهل المنطقة، وقد عرفت إفريقية قفزة نوعية في انتشار نظام الربط على طول السواحل، بيد أننا نعلم من أن إفريقية قعد عرفت هذا النظام قبل ذلك إلا أنه لم تكن بهذه الأهمية[3].

(1) محمود اسماعيل، **الأغالبة سياستهم الخارجية**، ط3، الدراسات والبحوث الإنسانية والإجتماعية،2000م، ص22.

(2) سعد زغلول عبد المجيد، **تاريخ المغرب العربي**، ج2، د ط، دار المعارف، ص81.

(3) محمود اسماعيل، المرجع السابق، ص36.

الفصل الثاني

نشأة وتطور الرباطات بالمغرب الإسلامي

كان الرباط في أرض افريقية مؤسسة من مؤسسات الحرب بغرض الدفاع عن دار الإسلام، وكذا من القنوات التي انتشرت بها العلوم والمعارف، فاستخدم كمكان للتدريس، وذلك لتمكين عقيدة أهل السنة والجماعة في نفوس المرابطين، ولقد ارتبطت كل من مدينة المنستير وسوسة بنشاط المرابطة الذي عرف ازدهارا منقطع النظير في العصر الأغلبي، حيث أضحت تضم ما لا يقل عن خمسة أربطة متجاورة، فغدت بذلك مجمع أربطة على غاية القداسة لأهل إفريقية، ومركز اشعاع حضاري يؤمها المرابطون من مختلف الأصقاع يدرسون العلم احتسابا لله تعالى وللجهاد في سبيله.

زد إلى ذلك أن الأمة الاسلامية لا تعرف مجال السكونية في حياتها، تستنبط تعاليمها الجهادية من القرآن والسنة وتعمل على زرعها في نفوس الأجيال فكان عاملا من أجل إحقاق الحق وإعلاء كلمة الله فوق كل شيء، ومنذ أن فتح المسلمون الشام في عهد الخلفاء الراشدين، وصولاً إلى البلاد الإفريقية، كانت هناك مدن جهادية مأوى للمجاهدين في سبيل الله وللزهاد المنقطعين إلى الله تعالى، مرابطين للعبادة وعلى ذكر هذا المصطلح أطلق عليه الرباط وعلى هذا النحو نحن بصدد دراسة هذا المنشأ الدفاعي ولذلك نطرح التساؤلات الآتية:

- ماهي الربط؟
- أين نشأت؟ وما هو دورها في استراتيجية الدفاع عن سواحل بلاد المغرب؟

I. مدلول الرباط وشروط المرابطة

1. الرباط لغة:

الرِّباط لغة مصدره رَبَطَ الشيءَ يَرْبِطُه ويَرْبُطُه رَبْطاً، فهو مَرْبُوطٌ ورَبِيطٌ: شدَّه. والرِّباطُ: ما رُبِطَ به، والجمع رُبُطٌ، وربَط الدابةَ يربِطُها ويربُطُها رَبْطاً وارْتَبَطَها. وفلان يرتَبِطُ كذا رأْساً من الدوابّ، ودابَّةٌ رَبِيطٌ: مَربوطة[1].

ويقال: نِعم الرَّبِيطُ هذا لما يُرْتَبَطُ من الخيل. ويقال: لفلان رِباطٌ من الخيل كما تقول تِلادٌ، وهو أَصلُ خيلِه. وقد خَلَّف فلان بالثَّغْر خيلاً رابِطةً، وببلد كذا رابِطةٌ من الخيل. ورِباطُ الخيلِ: مُرابَطَتُها[2].

والرِّباطُ من الخيل: الخمسةُ فما فوقها؛ قال بُشَير ابن أَبي حمام العَبْسِيّ:

وإِنَّ الرِّباطَ النُّكْدَ من آلِ داحِسٍ
أَبَيْنَ، فما يُفْلِحْن دُونَ رِهانِ

والرِّباطُ والمُرابَطةُ: مُلازمةُ ثَغْرِ العَدُوِّ، وأَصله أَن يَرْبِطَ كلٌّ واحد من الفَريقين خيلَه، ثم صار لزومُ الثَّغْرِ رِباطاً، وربما سميت الخيلُ أَنفُسها رِباطاً. والرِّباطُ: المُواظَبةُ على الأَمر. قال الفارسي: هو ثانٍ من لزومِ الثغر، ولزومُ الثغْر ثانٍ من رِباط الخيل[3].

وأيضا هو ما تشد به القربة والدابة وغيرها، والجمع رُبط والرباط في الأصل هو الإقامة على جهاد العدو بالحرب[4]. وإضافة إلى هذه المعاني اللغوية للرباط والتي وضعها ابن المنظور لدينا معاني أخرى متعددة لكن مفهومها واحد.

---

(1) ابن منظور (جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري)، **لسان العرب**، مج7، دار صادر، بيروت، د ت، ص302.

(2) نفسه، ص302.

(3) ابن منظور، المصدر السابق،مج7، ص303.

(4) نفسه، ص303.

ففي القاموس المحيط لأحمد تيمور، الرباط لغة من ربط الشيء يربطه ربطا أوثقه وشدة ضد حله، ومنه ربط الكهنة عند النصارى، وربط جأشه رباطة اشتد قلبه، وربط الله على قلبه ألهمه الصبر وقواه.

ورابط الأمر مرابطة ورباطا، واضب عليه، رابط الجيش لازم الثغور[1].

الرباط اسم فاعل والراهب والزاهد والحكيم، نزه نفسه عن الدنيا ورجل رابط الجأش أي ساكن القلب عند الفزع لشجاعته. والمرابط ملازمة ثغر العدو ومعناها واحد ما قاله ابن المنظور، والمرابطة أي أن يربط كل من الفريقين خيولهم في ثغره وكل معد لصاحبه[2].

ورباط الخيل المذكور المعروف بالحصن أخذه المسلمون من الآية الكريمة: لقوله تعالى" **وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ**"[3]، وأورد ابن كثير في كتابه تفسير القرآن العظيم أن سليمان الفارسي قال: سمعت رسول الله (ﷺ) يقول:" رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه وإن مات فيه جرى عليه عمله الذي كان يعمل وأجرى عليه رزقه وأمن الفتان"[4].

2. اصطلاحا:

إن الرباط في معناه الفقهي ورد مرادفا للانعزال ففي صحيح مسلم حدثنا ابن أبي مزاحم يحي بن حمزة عن محمد بن الوليد الزبيدي، "عن عطاء بن يزيد الليثي عن أبي سعيد الخذري أن رجلا أتى النبي (ﷺ) فقال: أي الناس أفضل، فقال : رجل يجاهد في سبيل الله بماله ونفسه، قال: ثم من ، قال: رجل معتزل في شعب من الشعاب يعبد الله ربه ويدع الناس من شره" وهذا كلام

(1) أحمد تيمور، **تصحيح القاموس المحيط**، ط1، المطبعة السلفية، القاهرة، 1343هـ، ص320.

(2) نفسه، ص320.

(3) سورة الأنفال، الآية60.

(4) ابن منظور، المصدر السابق،مج7، ص302.

يدل على شيء واحد وهو أن الرباط مكان للانعزال والعبادة، وفضل المرابطة كبيرة، ولها نفس الرفعة والجهاد[1].

وقد جاء تعريف الرباط أيضا عند البرزلي في كتابه" جامع مسائل الأحكام" حيث قال أن الرباط هو موضع الحرس في الأوقات التي يتوقع فيها العدو، فلو كان العدو حاضرا أو توقع حضره فهو الحرس[2]. ويعرف الرباط كذلك بأنه ثكنه عسكرية محصنة تبنى على حدود الدولة، وكانت تقام بها عددا من الكتائب العسكرية، رجال من أهل التقوى ليجاهدوا في سبيل الله ويحصلوا بذلك على الأجر والثواب، الذي يحصل غليه المجاهدين على الكفار وكانوا يقضون أوقات فراغهم بالعبادة، كما أنه ملجأ يسكنه الزاهدون في هذه الدنيا، وينصرفون فيه إلى العبادة[3].

أما من الناحية الأخرى كما ورد في الموسوعات والمراجع، هو نوع من المباني العسكرية التي خصصت لمرابطة المجاهدين في سبيل الله في ثغور الحدود، وكانت عبارة عن مباني ذات تخطيط مستطيل يتألف من حصن أوسط يحيط به أبراج في الأركان، بالجانب القبلي للحص مصلى وبالجوانب الأخرى حجرات صغيرة، للمرابطين ولا يؤدي إلى الرباط إلا مدخلا واحدا فقط[4].

وقد رأى البعض تأثرا بأفكار بعض الغربيين الذين شبهوا الأربطة بالأديرة المسيحية المحصنة، وهي تشبه تصميم التحصينات البيزنطية على حين رأى البعض الآخر أن مخطط الرباط ما هو إلا نظام مقتبس من القصور الأموية التي تبنى في بادية الشام، منذ القرن 2هـ/8م[5].

أما من حيث الدراسة المعمارية للرباط يمكننا القول على انه عبارة عن بناء محصن ذو صحن واسع تحيط به غرف، ويتكون من الطابق الواحد أو طابقين كما هو مبين في بعض النماذج التي

---

(1) الإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم، القشيري النيسابوري **صحيح مسلم**، ج6، ط1، دار الخلافة العلمية، 1322هـ، ص39.

(2) البرزلي أبو القاسم بن أحمد البلوي، **جامع مسائل الأحكام لما نزل من القضايا بالمفتين والحكام**، تح محمد الحبيب الهيلة، ج2، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2002م، ص30.

(3) رينهارت دوزي، **تكملة المعاجم العربية**، تر محمد سليم النعمي، ج5، دار الرشيد للنشر، العراق، 1980م، ص ص 71- 72.

(4) عاصم محمد رزق، **خانقاوات الصوفية في مصر**، ج1، مكتبة مدبولي، القاهرة، ص98.

(5) نفسه، ص98.

سنحاول من خلالها التعرف أكثر على البنية التخطيطية للربط، كما تعلوه صومعة مستديرة للآذان وخصوصا لمراقبة السواحل والحماية من الغارات الموجهة من طرف أساطيل الروم [1].

يشمل الطابق الثاني الأرضي للرباط على مخازن للمؤونة والسلاح، أما الطابق الثاني فيكون مسجدا، وتعلو الرباط غالبا أبراجا للمراقبة ومنارات لإرسال الإشارات[2]، كما استعملت النار كذلك كإشارة ووسيلة من الوسائل المراسلة، وقد استخدمت هذه الوسيلة على الساحل الإفريقي الشمالي في القرن الثالث الهجري، وكانت الرسائل تصل من الإسكندرية إلى سبتة في ليلة واحدة، ومن طرابلس إلى الإسكندرية في ثلاث ساعات إلى أربع، و لم يبطل هذا الخطر الأخير.

وقد كان الرباط قلعة حصينة للجنود المسلمين المرابطين للجهاد، وكان في الوقت نفسه يستعمل كملجأ للسكان المسلمون المجاورون له في حالة الهجوم من طرف العدو، وكان أيضا نوعا من الخانقاوات وهو عبارة عن دور علم والعبادة، وقد قام بأدوار دينية واجتماعية وثقافية واقتصادية هامة في حياة المجتمع الإسلامي.

من خلال ما ذكر نلاحظ أن الرباط هو المكان الديني الحربي، اختص به المسلمون ففي كتب اللغة وجدناه يعني ما يشد به، أما في كتب الحديث يعني الانفراد والانعزال وقد أصلح الفقهاء على أن الرباط هو المكان الذي تحتبس فيه النفوس للجهاد، والحراسة، أما عند المتصوفة، فالرباط هو المكان الذي تلتزم فيه للعبادة[3].

كما أن الرباط مدرسة من الدرجة الثانية يؤمها العلماء والطلبة من كل حدب وصوب، فقد كان الإمام سحنون ويحي بن عمر، ومحمد بن سحنون الإمام المازري وغيرهم من العلماء الذين يقضون أوقاتهم في الرباط حيث يدرسون العلم احتسابا، وشواهد القبور التي وجدت بالأربطة دليل واضح على مرابطة العلماء[4]. أما الرباط عند الجغرافيين فقد تعددت تسمياته ولكن احتفظوا بالمدلول ونفس المعنى ونذكر من تلك التسميات:

(1) ابراهيم العابدي الثوزري، **تاريخ التربية بتونس**، ج1، الشركة التونسية للتوزيع، ص157.

(2) ناجي جلول، **الرباطات البحرية بإفريقية في العصر الوسيط**، مركز الدراسات والبحوث، تونس، 1999م، ص189.

(3) بشير رمضان التليسي، **الاتجاهات في بلاد الغرب الإسلامي**، ط1، دار المدار الإسلامي، بيروت، ص412.

(4) ابراهيم العابدي، المرجع السابق، ص158.

أ. **المحرس**: ولعل هذه التسمية تعني الحراسة وتأمين الطريق والذي يقودنا إلى مرادف كلمة رباط هو المحرس والمحرس هو الرباط.

ب. **القصر**: ومن الجغرافيين من ذكر بدل كلمة رباط ومحرس، ذكر كلمة قصر وحصن[1] فالبكري مثلا ذكر كلمة رباط أو حصن[2]، أما الإدريسي فقد استعمل كلمتي حصن وقصر وفرق في ذات الوقت بين هاتين الكلمتين، فاعتبر الأبنية الساحلية المحصنة قصورا، أما الأبنية الداخلية المحصنة فسماها حصونا، وما يمكن استخلاصه هو أن القصر عبارة عن حصن متوسط المساحة، وقد يكون حصنا كبيرا ويقومون عادة ببناء الأبراج لإيقاد النار في أعلاه[3].ويوجد في الرباط رجال صالحون يعتكفون للرياضة الروحية ويهتمون بالتقوى أكثر من التمسك بملذات الدنيا، ويهتمون بالصلاة، ولقد اجتمعت في هؤلاء المرابطين صفات كالفقه البارع، والورع الصادق والصرامة في الحد والزهادة في الدنيا، والتخشن في الملبس والمطعم والسماحة، والترك لملذات الحياة ولا يقبلون من السلطان شيء.

3. شروط المرابطة

هي مسألة طرحت منذ منتصف القرا الثاني الهجري (الثامن الميلاد) ومن أجل إثبات هذا القول من خلال نوازل المالكية لعبد الكريم الشبلي" سئل مالك عن سكان الثغور على السواحل يريد بالأهل والولد؟ قال:" ليسوا بمرابطين، وإنما الرباط لمن يود الخروج من مترله معتقدا للرباط في موضع الخوف" وأيضا قوله:" إنما المرابط من خرج من مترله، فرابط في نحر العدو وحيث الخوف"[4]، وفي إطار السياق المطروح نستنتج أنه وفي مطلع ما بين القرنين (2–4 ه/8-10 م) كانت مسألة الدفاع عن أراضي بلاد المغرب الإسلامي من طرف المرابطين كان بمعزل عن الاهل والعيال، ومن قبل هذه الفترة في القرن (1ه/7م) نستدل بقول سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه

(1) أبي عبيد الله البكري، المصدر السابق، ص ص79 – 80.

(2) بشير رمضان التليسي، المرجع السابق، ص413.

(3) نفسه، ص413.

(4) عبد الكريم الشبلي، المرجع السابق، ص7.

" لا تجمروا[1] الجيش فتفتنوه"[2].إلا اننا نلاحظ أن الكثير من العباد بإفريقية زاولوا نشاط المرابطة مناصفة بين الرباطات والحصون المعدة للحراسة.

ولقد كانت المواقع الجبلية مثل جبل زغوان وجبل واسلات شمال إفريقية محل الكثير من المرابطين[3]، ونظرا إلى حالة الملل التي قد تصيب المرابطين في الثغور كانت مهمة الإرشاد الديني وحتى التثقيف العم تساعدهم على المرابطة في الرباطات، ونظرا لذلك كانت قد تبادر تساؤلات على مدة المرابطة واغتراب المرابطين عن أهلهم، ونلتمس ذلك من خلال المصادر عن اختلاف مدة المرابطة حسب الظروف الأمنية السائدة، إلا أنها كانت في معظم الأوقات مؤقتة أو علة فترات، كأن تكون على فترة ترقب هجوم العدو، وقد تطول المدة، أو في فصل من السنة، أو في شهر رمضان خاصة[4].

لما يمكننا طرح تساؤل عن كيفية قضاء المرابطين لأوقاتهم؟ أن من طبع العباد المرابطين الزهد في العيش ومشاركتها مع بعضهم البعض، أكل وشرب وعبادة، ولقد كانت لكل مرابط خلوة صغيرة يتعبد فيها وحده، أطراف الليل وآناء من النهار، مع العلم أنه كان لكل رباط طابقين، طابق أول به مسجد للصلاة وقاعة للتعليم والإطعام، والطابق الثاني مخصص للخلوة[5].

كما تم تصنيف الأربطة نفسها حسب حالة الخطر الذي تعيشها والتي تهدد المرابطين بها، إذ يميز الإمام "سحنون" بين "مدائن الثغور والمسالح المنصوبة للعدو في الثغور" وبين" قرى ومداين يسكنون بالعيال" ويأتي هذا التصنيف للمرابطة والأربطة لارتباطها الشديد بمسألة اقتسام الغنائم،

([1]) التجمير هو جمعهم في الثغور وحبسهم عن العودة إلى أهلهم،: حافظ أبي العباس جعفر بن محمد المستغفري، **فضائل القرآن**،تح أحمد بن فارس السلوم، مج 1، ط1، دار ابن الحزم، بيروت، لبنان، 2006م، ص132. ابن منظور، المصدر السابق، ج6، ص676، مادة جمر.

([2]) ابن منظور، المصدر السابق، ص676.

([3]) البكري، المصدر السابق، ص294. الأدريسي، المصدر السابق، مج1، ص294.

(4) البادسي(عبد الحق بن اسماعيل)، **المقصد الشريف والمتزع اللطيف في التعريف بصلحاء الريف**، تح سعيد اعراب، ط2، المطبعة الملكية، الرباط، 1993م، ص103.

(5) فوزية محمد عبد الحميد نوح، **البحرية الإسلامية في بلاد المغرب في عهد الأغالبة**،(**184-296ه/800-900م**)، رسالة ماجستير، اشراف أحمد دراج، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، (1404-1405ه/1984-1985م)، ص ص81-82.

وأيضا توزيع العطاءات أو حتى العجائل، فالأربطة الموجودة على السواحل والمعرضة لأخطار الهجوم البحري تقتسم الغنائم فيها على المرابطين جميعا، أي من شارك منهم ومن لم يشارك، مثل محارس المنستير والحصن على الساحل فالغنيمة عندهم لمن برز ومن لم يبرز[1]، ويبدوا على المرباطين أنهم لم يكونوا مطالبين بممارسة أي نشاط اقتصادي، بما أنهم كانوا نظريا يعيشون ويستفيدون من الأحباس والهبات الكثيرة من غلة وأموال وثياب وسروج وسيوف، أو دار لسكن المجاهدين والمرابطين أو أيضا يستفيدون من رقيق يستعملون في سبيل الله، ولا يباعون، بل يجتمعون عادة في الأربطة لخدمة المرابطين، لكن في الواقع كان العديد منهم يسترزق من عمل يده كأن يقوموا بزراعة الأرض المحاطة بالرباط أو صيد السمك[2]، لأن من المفروض أنهم يعيشون من عمل أيديهم ولا يأكلون إلا مالا حلالا.

(1) عبد الكريم الشبلي، لمرجع السابق، ص8.

(2) فوزية محمد عبد الحمدي، المرجع السابق، ص82.

II. نشأة الربط وتوزيعها الجغرافي ومراحل تطوها التاريخي

1. نشأة الربط

إن النشأة الأولى للرباط في الأساس يعود إلى عهد الرسول (ﷺ) فقد ذكر السرسخي في كتابه" شرح كتاب السير الكبير" في باب فضيلة الرباط حادثة توحي لنا ما قلناه، "فقد ذكر مكحول أن سليمان الفرسي مر بشرحبيل بن السمط وهو مرابط قلعة بأرض فارس، فقال: أنّ سلمان الفارسيّ مرّ بابن السِّمْط وهو مُرابط مع أصحابه وقد شُقّ عليهم، فقال له سلمان: يا ابن السَّمْط ألا أحدّثك بحديثٍ سمعته من رسول الله، صلى الله عليه وسلّم، سمعته يقول: (رباط يوم في سبيل الله خير من صيام شهر وقيامه) ، ومن مات فيه وُقّي فتنة القبر ونما له عمله إلى يوم القيامة[1].

والمرابطة المذكورة في الحديث عبارة عن المقام في ثغر العدو ولإعزاز الدين ودفع المشركين عن المسلمين، وقد روى بعده أكثر من هذا القدر فإنه روي عن مكحول أن رجلا أتى لرسول الله (ﷺ) فقال إني وجدت غارا في الجبل فأعجبني أن اتعبد فيه وأصلي حتى يأتيني قدري، فقال عليه السلام:" لمقام أحدكم في سبيل الله خير من صلاته ستين سنة في أهله"، وأصل هذا الثواب لإعزاز الدنيا وتحصيل المنفعة للمسلمين لعمله[2]، وفي حديث آخر رواه مكحول عن أبي كعب أن رسول الله (ﷺ) قال:" لرباط يوم في سبيل الله صابرا محتسبا من وراء عورة المسلمين في شهر رمضان أفضل عند الله تعالى من عبادة ألف سنة صيام نهارها وقيام ليلها"[3].

فمن خلال فضيلة الرباطات تبين لنا النشأة الأولى له، وكان في الكهوف والمغارات كما ذكر من خلال أحاديث الرسول (ﷺ)، وتواصلت هذه القراءات عند المسلمين حتى تطور هذا المبنى الصريخ، وكان ظهوره في بلاد المغرب الإسلامي، أين كانت البدايات الأولى في نشر الإسلام، وكان الموقع الاستراتيجي للمنطقة وبحكمها مطلة على البحر مما توجب على هذا الصرح

([1]) محمد بن الحسن الشيباني، **شرح كتاب السير الكبير**، تد عبد العزيز أحمد، د ط، د ت، ص2.

(2) نفسه، ص2.

(3) نفسه، ص ص 2 – 3.

التواجد على طول الساحل لبلاد المغرب الإسلامي فهو من أهم الثغور الرئيسة للبلاد الإسلامية ولذلك فلا غرابة من أن تزدهر فيه حركة البناء والتشييد للمحارس والأربطة خاصة انها منطقة معرضة للخطر البيزنطي[1].

وببلاد المغرب فإن الفاتحين قاموا ببناء الأربطة في القرن الثاني الهجري (القرن الثامن الميلاد) حتى داخل القلاع البيزنطية التي تحولت إلى أربطة تشبه مدن، أي ارتبط ظهور هذا النظام الأربطة والمحارس ببلاد المغرب الإسلامي بعصر الفتوح وذلك لأن المغرب الاسلامي أرض جهاد وكانت أكثر عرضة للغارات البحرية المفاجئة من القسطنطينية أو صقلية[2]، فاعتبروه المسلمون لذلك ثغرا يعد الربط فيه للجهاد في سبيل الله وقربه إليه ولذلك انشأت الرباطات والحصون في سواحل إفريقية لحراسة المسلمين والتعبد لله رب العالمين[3]، كما وقد كان لظهور الأربطة مرتبطا بعامل آخر وهو مواجهة الخوارج من انتشار مذهبهم ونشر المذهب السني والمحافظة عليه.

2. التوزيع الجغرافي

أ. رباطات الساحل الليبي[4]

بنيت على هذا الساحل سلسلة من الحصون أو القصور[5]، وهذه البناءات كانت تشمل على عدة مساكن يجمعها بناء ضخم من طبقتين فأكثر هذا يعتبر المبنى قصرا، وكونه محاط بسور خارجي واحتوائه على برج أو أكثر فيعد حصنا ويضاف إليه مسجدا للعبادة، ويحتوي الساحل الليبي على عدد كبير من الرباطات والقصور الساحلية المتواجدة بين قابس وطرابلس، وبين سرت

(1) البلاذري أبو العباس، **فتوح البلدان**، تح عبدالله وعمر أنيس الطباع، مؤسسة المعارف، بيروت، 1407هـ، ص147.

(2) عبد العزيز سالم وأحمد مختار العبادي، **تاريخ البحرية الإسلامية في المغرب والأندلس** ، دارالنهضة العربي،بيروت،1969م، ص41.

(3) نفسه، ص41.

(4) انظر الملحق رقم(5) (الخريطة)، ص83.

(5) سعيد عبد المنعم خضري، **عمائر الصوفية في الجماهيرية الليبية**، د ط، مؤسسة الاخلاص، 2008م، ص282.

وطرابلس ربين سرت وسلوق وكل هذه القصور عبارة عن رباطات، ويأتي مقدمة هذه القصور قصر حسان نزلها حسان بن النعمان بعد هزيمته أمام الكاهنة[1].

ب.رباطات ساحل المغرب الأقصى

شهد المغرب الأقصى رباطات كثيرة أغلبها داخلية وبعضها ساحلية، وهذا ما يهمنا من خلال دراستنا للأربطة الساحلية[2]، فرباط النكور شمالا للمغرب الأقصى، حدد موقعه البكري على مقربة من ملتقى نهر النكور ونهر غيس ويضم عدة مراسي وعلى ضفة نهر غيس مسجد يشبه مسجد الإسكندرية في محارسه ومنافعه وكان قائما للقرن الثالث الهجري بعد هجوم النورمان على المنطقة، ومن أشهر مرابطيه الشيخ أبو داود مزاحم الذي وقع في أسر الروم مع عدد من المسلمين المرابطين[3].

ج. رباطات المغرب الأوسط[4]

تذكر كتب الرحالة أن ساحل المغرب الأوسط أقيمت عليه عدة منشآت عمرانية تمثلت في القصور والرباطات للحراسة[5]، منها مايلي:... "رباط بونة، "ومدينة بونة، مدينة مقتدرة ...على نحر البحر... ولها عامل عليها قائم بنفسه ومعه من البربر عسكر لا يزول كالرابطة"[6]. ومرسى بونة تخرج منه الشواني غازية إلى بلاد الروم وجزيرة سردانية و كرسقة وما ولاها وجدد منذ العهد الأغلبي، وبشرق مدينة بونة، مدينة مرسى الخرز يصنع بها السفن والمراكب الحربية التي يغزى بها إلى بلاد الروم[7].

(1) ابن عبد الحكم، المصدر السابق، ص228.

(2) انظر الملحق رقم(06) (الخريطة)، ص91.

(3) البكري، المصدر السابق، ص ص176-177.

(4) انظر الملحق رقم(07) (الخريطة)، ص85.

(5) ابن عذارى، المصدر السابق، ج1، ص114.- عبد العزيز سالم وأحمد مختار العبادي، المرجع السابق، ص98.

(6) أبو القاسم ابن حوقل النصيبي، **صورة الأرض**، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1992م، ص77.

(7) البكري، المصدر السابق، ص141.ص172. –ياقوت الحموي، مج1، المصدر السابق، 512.

د. رباطات ساحل إفريقية:

لقد عرف ساحل المغرب الأدنى تشييد عدد كبير من الرباطات على يد الأغالبة[1] وهذا إن تعدد الحصون المتقاربة فيما بينها وبين صفاقس وبترت ما هو إلا تعبير عن شدة الخطر الذي يداهم الساحل، وأن من الأمثلة على ذلك رباطات صفاقس رباط أبي خارجة عنبسة بن خارجة الغافقي، وهو بناء جديد على شكل حصن فكان مؤسسة دينية يقع بيونغا "Younca" –جنوب صفاقس[2]، من الرباطات الخواص رباط سهل بن عبد الله الفيراني على نحو خمسة كلم من سوسة، كان من المحدثين الأثرياء[3]، من الرباطات للساحل الشمالي لإفريقية، ما عرف قلاع بترت التي كانت مأوى الأهل المنطقة إذ فاجأهم الروم من جهة البحر[4].

3. مراحل تطور الربط البحرية في سواحل المغرب الإسلامي

- **المرحلة الأولى:** لقد كان للأحداث السياسية والحربية العامة التي تعرضت لها خريطة العالم الإسلامي في عصوره المتتابعة أثرها المباشر في الاهتمام ببناء التحصينات المختلفة التي تمكن المسلمين من الدفاع عن أنفسهم وعن الإسلام، والاهتمام بإنشاء رباطات حول المدن والتي تمثل امتداد عمراني خارج اسوارها القديمة[5]، وقد اختلفت طبيعة هذه الأحداث شرقا وغربا، فقد اهتم الأمويين بإنشاء التحصينات اللازمة لحماية الثغور للدولة الإسلامية من غارات الروم المتوقعة على هذه الثغور[6]، فاستغلوا الحصون البيزنطية القديمة، ورمموا ما تهدم منها وبنوا ما كانوا في حاجة إلى بنائه لتدعيم الدفاع عن هذه المدن[7].

(1) انظر الملحق رقم(08) (خريطة)، ص86.

(2) ابن عبد الحكم، المصدر السابق، ص228.

(3) انظر الملحق رقم (09) (خريطة)، ص87.

(4) البكري، المصدر السابق، ص57. –عبد العزيز سالم ومختار العبادي، المرجع السابق، ص42.

(5) لحسن تاوشيخت، **التحصينات الدفاعية أول الربط في عهد المرابطن**، العدد5، ج2، جامعة الجزائر2، 2014م، ص80.

(6) محمد عبد الستار عثمان، **المدينة الإسلامية** ، د ط، عالم المعرفة، 1988م، ص133.

(7) نفسه، ص133.

- **المرحلة الثانية:** وقد تميزت هذه المرحلة بتواصل انشاء التحصينات والمحافظة عليها، وقد انطلقت مع أتباع العباسيين لاستراتيجية عسكرية تحصينيه ضد الخطر البيزنطي[1]، وكان ذلك في عهد ولاية هرثمة ابن الأعين ، وخلافة هارون الرشيد الذي أرسله إلى بلاد المغرب الإسلامي لتولي الولاية[2]، بحيث قام بإنشاء رباط المنستير وحصن طرابلس سنة 180هـ/796م، وقد عرفت هذه المرحلة انشاء رباط سوسة وقصر المدفون وقصر زياد إلى جانب إعادة توظيف عدة تحصينات بيزنطية قديمة شيئا فشيئا مع تقوي الدولة المركزية في بداية العصر الأغلبي مواقعها مثل الأربس وسبيبة[3].
- **المرحلة الثالثة:** والتي اتسمت بتقريب مراكز الاتصال بين المرابطين وتكثيف أكبر للتحصينات الساحلية فأنشئ قصر سهل، وقصر سفاقص، وقصر ابن جعد، بإفريقية، وقصر بونة ورباط وهران بالمغرب الأوسط، ورباط النكور وسلا بالمغرب الأقصى[4].

(1) حمدي مليكة، **المرجع السابق**، ص80.

(2) ابن عذارى، المصدر السابق، ص89.

(3) الإدريسي أبو عبد الله الشريف، **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**، مج1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2010م، ص ص307-308.

(4) البكري، المصدر السابق، ص172. –الإدريسي، المصدر السابق، ص ص285 إلى 303. الباديسي (عبد الحق بن اسماعيل)، **المقصد الشريف والمتزع اللطيف في التعرف بصلحاء الريف**، تح سعيد عريان، ط2، المطبعة الملكية، الرباط، 1993م، ص ص51-52.

III. نماذج الرباطات بالمغرب الإسلامي (إفريقية نموذجا)

إن أهم الرباطات في بلاد افريقية هما رباط سوسة والمنستير اللذان يعتبرا من أقدم الرباطات في بلاد المغرب الإسلامي وأولها نشأة ولذلك سنتعرف لهذين الصرحين الدفاعيين في بلاد المغرب الإسلامي.

1. رباط المنستير

كل الرباط في أرض إفريقية مؤسسة الحرب بغرض الدفاع عن دار الإسلام، وكذا من القنوات التي انتشرت بها العلوم والمعارف، فأستخدم كماكن للتدريس، وكذا لتمكين عقيدة أهل السنة والجماعة في نفوس المرابطين، ولقد ارتبطت مدينة المنستير بنشاط المرابطة الذي عرف إزدهارا منقطع النظير في العصر الأغلبي، حيث أضحت تضم مالا يقل عن خمسة أربطة مجاورة هي:(القصر الكبير، وقصر سيدي ذويب، وقصر السيدة، وقصر ابن الجعد، وقصر سفاقص). فغد بذلك مجمع أربطة على غاية من القداسة لأهل إفريقية، ومركز إشعاع حضاري يؤمها المرابطون من مختلف الأصقاع يدرسون العلم احتسابا لله تعالى والجهاد في سبيله، لذا من خلال هذه الدراسة سنسلط الضوء على مصطلح المنستير وأهم التطورات التاريخية التي عرفتها هذه المنطقة، وكذا أهم الخصائص المعمارية للرباطات التي اشتهرت بها عبر التاريخ.

أ. مصطلح "منستير"

المنستير: لفظة شائعة الاستعمال في اللغة الإغريقية (Monasterion) ثم اللاتينية (Monasterium). كانت تطلق على المؤسسة النصرانية التي يؤمها الرهبان، والتي تسمى بالعربية: "الدير"[1]. قال الشهاب الخفاجي: المنستير " لفظ رومي معناه عندهم خانقاه للرهبان على الطريق يترل فيه أبناء السبيل"[2]. وهو ما يؤيده مخلوف الذي يذهي إلى أن " بالقرب من القصر–(قصر المنستير)– شرقيه جزيرة منحوت بها بيوت كانت قبل الفتح الإسلامي مقر الرهبان والمنقطعين للعبادة فيه، وبالقرب منه بالقراعية داموس منحوت في جبل على شاطئ البحر يعرف الأن

(1) زبيس سليمان مصطفى، **المنستير ماضيها ومعالمها التاريخية**، الدار التونسية للنشر، د ت، ص3.

(2) ابن مخلوف (محمد بن محمد)، **شجرة النور الزكية في الطبقات المالكية**، تح عبد المجيد خيالي، ج2، ط1، دار الكتب العليمة، بيروت، لبنان،2003م، ص139.

بالكحيلة كان أيضا مقرا للرهبان، وقيل كان مقرافي المصيف لبعض الأمراء الرومان"[1].لذلك لا يمكن استبعاد وجود مسيحي قديم بالمنستير، لكنه لم يوجد بالضرورة في موضع قصر الرباط، وما من شك أن المسلمين لم يجدوا من هذا الدير شيئا ذا بال غير الاسم الذي أعطي للموقع، خصوصا إذا أخذنا بعين الاعتبار تدهور الحياة العمرانية في أواخر العهد البيزنطي.

ويذهب حسن حسني عبد الوهاب على أن العرب أطلقوا لفظة " منستير" على الوحدة المعمارية المشتركة بين الحصن والدير التي ظهرت في القرن الثاني للهجرة/ الثامن الميلادي وقبل استعمال كلمة "رباط" في مدلولها العربي الخاص. وأنهم أخذوها عن البيزنطيين الذين كانت لهم منشآت كبيرة على النحو المشترك بين الأديرة والحصون الحربية، وهو لذلك لا يستبعد أن تكون لفظة "منستير" شائعة الاستعمال في المشرق العربي خاصة بسواحل سوريا وفلسطين[2]، إلا أننا نجد أن هذا اللفظ لا يطلق إلا على بعض المواضع في المغرب الإسلامي وخاصة إفريقية، حيث يذكر ياقوت الحموي في هذا السياق أن اسم المنستير كان يطلق على:

– **المنستير**: وهو موضع بين المهدية وسوسة من أرض إفريقية، وبينه وبين كل واحد منهما مرحلة، وهو معبد يجتمع فيه الزهاد والمنقطعون للعبادة، وفيه عدة قصور مبنية، وأهل إفريقية يحسنون مراعاة سكانه بالبر ويمدونهم بالقوة والكفاية[3].

– **منستير عثمان:** موضع أخر بإفريقية بينه وبين القيروان ستة مراحل، وبين باجة ثلاثة مراحل، وهو بلد فيه جامع وفنادق كثيرة وأسواق وحمامات، وبئر لا تترف، وقصر لأول مبنى بالصخر كبير، أهله قوم من قريش، ويقال إن أول من بناه الربيع بن سليمان عند دخوله إفريقية[4].

(1) ابن مخلوف، المصدر السابق، ص140.

(2) عبد الوهاب (حسن حسني)، **ورقات عن الحضارة العربية بإفريقية التونسية**، ج2 ، مكتبة المنار، تونس، 1966م، ص ص403-404.

(3) ياقوت الحموي، **المشترك وضعا والمفترق صقعا**، ط2، دار عالم الكتب، بيروت، 1986م، ص404.

(4) نفسه،ص ص404-405. – أبو عبيد الله البكري، **المسالك والممالك**، تح أدريان فان ليوفن وأندري فيري، ج2، الدار العربية للكتاب والمؤسسة الوطنية للترجمة والتحقيق والدراسات: بيت الحكمة، تونس، ودار الغرب الإسلامي، بيروت، 1992م، ص718.

– **منستير الأندلس**: يقع في شرقيها بين لقنت وقرطاجة[1]، ويرجع تاريخ تأسيسه إلى سنة (333هـ/944م) حسب نقيشة تذكارية محفوظة بالمتحف الأثري بمرسيه تم العثور عليها سنة 1897م، وقد أشرف على بنائه بعض النازحين من إفريقية ممن كانوا في خدمة الدولة الأغلبية[2].

وبالإضافة إلى المواضع التي ذكرها ياقوت الحموي، نجد صاحب الاستبصار يذهب إلى أن "النصف الثاني من غابة قفصة يسقى من عين عظيمة خارج المدينة تسمى "عين المنستير". وهي عين كبيرة معينة عذبة يخرج منها نهر كبير، وهذه العين من أحسن ما يرى العيون. وهي من جانب النهر المسمى بواد بايش"[3].

كما أنه بالقرب من مدينة غار الملح التونسية توجد "عين المنستير" و "رأس المنستير" ما بين بلدتي سونين ورفراف، وحسب الزركشي فإن هذه الأخيرة كان لها "محرس"(رباط)[4].

هذا وتجدر الإشارة إلى أن الرباط الإسلامي ليس تقليدا للمنستير (Monastère) عند النصارى كما ذهب إلى ذلك بعض المستشرقين، باعتبار أن هذا الأخير كانت مهمته مقصورة على العبادة والنسك والانقطاع عن الناس، وهو بهذا نوع من دور انقطاع الرهبان، في حين تركز فكرة الرباط الإسلامي إلى أصل قرآني جهادي باعتبار أن الرباط في الإسلام قاعدة حربية قوية لصد أعداء الله وقتالهم[5]، وهو ما أكده الدكتور العدوي بقوله: "عرف البيزنطيون نظام الأديرة المسلحة، وهي الأماكن التي انقطع فيها الرهبان للعبادة واجتمعوا فيها سويا لخدمة مطالبهم مبتعدين عن الحياة وزخرفها الباطل، ولكن لا توجد شواهد قاطعة على اشتراك أشباه أولئك الرهبان المقيمين في الأديرة المسلحة في حين العمليات الحربية التي قامت بها الدولة البيزنطية"[6]، في

(1) ياقوت الحموي، المصدر السابق، ص405.

(2) حسب هذه النقيشة فإن الذي أمر ببنائه هو: أحمد بهلول بن بنت الواثق بالله، وهو أمير عباسي من أصل مشرقي، استقرت أسرته بالقيروان في خدمة الدولة الأغلبية.

(3) المراكشي، المصدر السابق، ص152.

(4) الزركشي (أبو عبد الله محمد ابراهيم)، **تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية**، تح محمد ماضور، المكتبة العتيقة، تونس، 1966م، ص116.

(5) الكتاني(يوسف)، **مدرسة الإمام البخاري في المغرب**، ج2، دار لسان العرب، بيروت، ص ص480-481.

(6) العدوي (ابراهيم أحمد)، **الأمويين والبيزنطيون، البحر الأبيض المتوسط بحيرة إسلامية**، ط1، دار رياض الصالحين، الفيوم، 1994، ص68.

حين اجتذبت الرباطات البحرية الأتقياء المتحمسين الحريصين على الجهاد لحماية بيضة الإسلام ورد عادية المعتدين، بل أن أحد كبار المؤرخين الإسبان المحدثين أ.كاسترو ذهب إلى أنه "قبل ظهور النظم الديرية العسكرية لدى النصارى بقرون، كان لدى المسلمين الرباطات التي كان يعتكف فيها الزهاد للعبادة والدفاع عن الحدود.

ب.مراحل التطور التاريخي لرباط المنستير

يعد رباط المنستير من أقدم المعالم المؤرخة في إفريقية ببلاد المغرب الإسلامي وهو بمثابة نموذج أول مدروس لدور إقامة المرابطين التي خططت أيام الخليفة العباسي هارون الرشيد[1]، أقامه القائد هرثمة بن أعين بالقرب من سوسة ليرابط به الجند المدافعون عن البلاد لرد الأعداء عن الثغر في حدود سنة 180هـ/796م وذلك لاستشارته للبهلول بن راشد عابد زمانه، مما يدل على المكانة التي حظي بها العلماء والزهاد باعتبارهم يمثلون بحق صدى لاتجاهات الرأي العام في ولاية إفريقية وحواضرها، حيث تذكر كتب الطبقات أنه أرسل البهلول بن راشد نائبه زكريا بن قادم ليأخذ رأيه فيما اعتزم تنفيذه في ساحل المنستير، وليشرح له جهود هذا القائد في مجال تحصين ثغور دار الإسلام، فاستحسن البهلول المشروع وحث عليه وفضله عما سواه بقوله: "ما ذكرت شيئا إلا والمنستير أفضل منه"[2].

وفحوى رد الزاهد القيرواني البهلول بن راشد هو إشارة استحسان من بعض وجوه القوم وفضلائهم لبعث مشروع عام النفع كهذا المنستير، تحيا بمقتضاه فريضة الجهاد في سبيل الله، بعد انصراف الجمد عن تنشيطها ضد قلاع الروم، كما أن اختيار منطقة الساحل لزرع منشأة دفاعية

(1) الرقيق القيرواني، المصدر السابق، ص168. – البكري، المسالك والممالك، ج2، المصدر السابق، 292. – ابن عذارى، ج1، المصدر السابق، ص89.ابن الأثير، مج1، المصدر السابق، ص139. –مقديش (محمود)، **نزهة الأنظار في عجائب تواريخ والأخبار**، تح علي الزاوي ومحمد محفوظ، مج1،ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت،1988م، ص321.

(2) ذكر البهلول بن راشد أنه بلغه عن النبي (ﷺ) أنه قال:" إنه باب من أبواب الجنة": وقد ورد في كتب الطبقات مجموعة حول فضل إفريقية والمنستير، انظر التجاني (أبو محمد عبد الله بن محمد بن أحمد)، **رحلة التجاني**، تح حسن حسني عبد الوهاب، الدر العربية للكتاب، ليبيا- تونس 1981م، ص ص30-33.وتجدر الإشارة إلى : أن هذه الأحاديث الواردة في فضل إفريقية والمنستير في أحاديث موضوعة، والهدف منها التحريض على الجهاد والمرابطة والترغيب فيهما، لما يترتب عليها من مصلحتي الدنيا والآخرة – أنظر: مخلوف، شجرة النور الزكية، ج2، المصدر السابق، ص190.

في عمق إفريقية، وهي القصر الكبير (المنستير) اختيار موفق لم يخل مغزى، فالأخطار من هذه الناحية كانت محققة وملموسة، ولطالما تعرضت المنطقة أثناء مسيرة الفتح البلاد المغرب الإسلامي، وبعد استقراره لغارات بيزنطية مفاجئة خاصة من صقلية التي ظفرت بمركز ممتاز في استراتيجية الدفاع والهجوم. وكان المشرف على بناء رباط المنستير زكريا بن قادم الذي يعد من خواص هرثمة بن أعين الذي نفذ في ساحل إفريقية نفس السياسة التي جرى اختيارها في أكثر من منطقة ثغرية ببلاد المشرق وأضاف بذلك إلى إفريقية قاعدة بحرية جديدة تسندها في مهامها الدفاعية[1].

وقد ذكر البكري وصفا لهذا الرباط فقال:" وبالمنستير البيوت والحجر والطواحين الفارسية ومواجل الماء، وهو حصن عالي البناء، متقن العمل، وفي الطبقة الثانية منه مسجد لايخلو من شيخ فاضل يكون مدار القوم عليه، وفيه جماعة من الصالحين والمرابطين قد حبسوا أنفسهم فيه منفردين دون الأهل والعشائر، وقال محمد بن يوسف: هو قصر كبير عال داخله وبض واسع، وفي وسط الربط حصن ثان كبير، كثير المساكن والمساجد والقصاب العالية طبقات بعضها فوق بعض، وفي القبلة منه صحن فسيح، فيه قباب عالية متقنة البناء، تنزل حولها النساء المرابطات تعرف بقباب جامع، وبها جامع متقن البناء وهو آزاج معقودة كلها واقباء لا خشب فيها، ولها حمامات كثيرة"[2].

ج. التخطيط المعماري لرباط المنستير[3]

ومع مرور الزمن أصبح رباط المنستير أشبه بمدينة مسورة تحوي قصورا ضخمة ذات طبقات تشمل العديد من الغرف مما يدل أن هذا الرباط قد أدخلت عليه عبر التاريخ عدة تعديلات عقدت تخطيطه الأصلي وغيرت معالمه، ومع ذلك فإنه يمكننا التعرف على العناصر الأساسية لهذا المعلم، إذ يتكون مخطط هذا الرباط الذي يشبه في تصميمه التحصينات البيزنطية من حصن صغير مربع تقريبا أضلاعه (32.80م × 32.40م)، تقوم في زواياه أبراج نصف دائرية، عدا برج الزاوية الشرقية فهو مربع تقريبا، وترتكز عليه ابتداءا من مستوى سطح القصر منارة أسطوانية يتناقص غلظها في

(1) زيس سليمان مصطفى، المرجع السابق، ص ص4-7.

(2) البكري، المسالك والممالك، ج2، المصدر السابق، 296.

(3) انظر الملحق (16)(خريطة)، ص94.

الارتفاع، قطرها عند القاعدة (6.37م) وينتهي عند "الشرفاء" إلى (4.58م)، وارتفاعها (16.35م) (عدا ارتفاع القاعدة المربعة تحتها)، وقد قسم سطحها الخارجي بثلاث أفاريز بارزة وبسيطة، ويصعد إليها من مدخل يفتح على سطح مسجد القصر يؤدي إلى سلم دائري(في شكل حلزوني) يشتمل على (89) مرقاة، وتتسرب إليه الإضاءة من زوايا صغيرة موزعة على ارتفاعات متباعدة[1] وقد اتخذت هذه المنارة التي تشرف على خليج المنستير كبرج لمراقبة تحركات العدو، فكانت الإشارات الضوئية تنبعث ليلا منها ومن عدة مواقع للحراسة، وخلال النهار ينطلق الحمام الزاجل منها محملا بالرسائل نحو القلاع والحصون الأخرى.

وتجدر الإشارة إلى أن منارة قصر الرباط بالمنستير أقيمت سنة (180هـ/796م)، وتميزت بشكلها الأسطواني الذي تشبه الصومعة المربعة الشامية الطراز التي قدمت مع الولاة الأمويين من دمشق، وقد تواصلت استخدام مسقط هذه المنارة المربع في سائر بلاد المغرب الإسلامي[2].ويتميز هذا الرباط كذلك بمدخل بارز قائم الزوايا يقع في محور الظلع الجنوبي الشرقي، ويفتح على "دهليز"[3] مستقيم يؤدي إلى "الصحن"[4].وتزين كنة هذا المدخل خمسة مشاك مسطحة منتهية بأقواس نصف دائرية يعتليها "إفريز"[5] من الأشكال النباتية. وهو تنسيق زخرفي يميز الأسلوب الفاطمي الزيري[6].

وعلى هذا الجانب من الدور الأول مسجد صغير يقع محرابه فوق المدخل، به سبع بلاطات عليها أقبية طويلة تتعامد على جدار القبلة، وترتكز على دعائم مستطيلة تقسم القاعة طوليا إلى

(1) مخلوف، ج2 المصدر السابق، ص195.

(2) Rammah (Mourad). « Les Villes ribat » in : Ifriqiya : Treize siècles d'art et d'architecture en Tunisie, musèe sans frontières, Editions :Déméter-Edisud, Aix-en prouvence,2000,p189.

(3) دهليز- ممر: Corrodor- الدهليز (بتشديد الدال وكسرها) يعني الحنية أو الممر أو الطرقة، ومكان بين باب المسكن وداخله، أو ما بين الباب والدار. أما في المصطلح المعماري الأثري فيأتي في العمارة المملوكية بصفة خاصة للدلالة على الممر الداخلي يقضي من الدركاة إلى الصحن، عاصم محمد رزق، **معجم مصطلحات العمارة والفنون الإسلامية**، ط1،مكتبة مدبولي، 2000م، ص110.

(4) الصحن في العمارة الدينية كالمسجد والمدرسة والخانقاة ونحوها هو مساحة مكشوفة أو مغطاة تتصل بها من الناحية الجنوبية برواق القبلة ...، انظر: نفسه، ص167.

(5) افريز، Corniche، يأتي لفظ افريز في المصطلح الأثري المعماري للدلالة على ما أشرف من الحائط خرجا عنه، أو ما برز من جدران العمائر والأبنية في هيئة حافة أفقية. نفسه، ص19.

(2) Rammah (Mourad), op.cit, p.189.

قسمين، وتنفتح هذه الأقبية على بعضها بواسطة "عقدين" جانبين في كل بلاطة، والرباط يضم في الداخل فناء محاطا بأروقة تنفتح عليها الغرف، ويأوي الطابق الأول قاعة للصلاة تتألف من "أسكوبين" وسبع بلاطات، وهي مسقوفة بقبوات نصف الجنوبي بقبيبة كروية الشكل منخفضة.

2. رباط سوسة

أ. مراحل التطور التاريخي لرباط سوسة

ذكرت مدينة سوسة أحوزها في العدد الكبير من المصادر الجغرافية والتاريخية، والملفت للتمعن والانتباه، وقد ذكر لابن خردذابة منطقة سوسة بدون الحديث عن المدينة والرباط[1]، بينما يذكر البعض الآخر كاليعقوبي بدون الالتفات إلى رباطها، علما أن الجغرافيين كانوا أكثر من لديهم دراية ومعرفة عن الأربطة والأخير لديه بما يخص نظام الأربطة بالمغرب.

وعلى ذكر ذلك نجد أن رباط سوسة أو كما عرف بقصر الرباط أو محرس الرباط عند البكري[2]، وهو يعتبر من أهم وأكبر الحصون التي أقيمت في عصر دولة الأغالبة، وكان في بداياته عبارة عن حصن في عهد يزيد بن حاتم عامل إفريقية على حد قول ليزين:" بقايا المعبد القديم كأساس له، ويظهر أن المدينة في هذه الحقبة المبكرة كانت قليلة السكان حوالي ألف حسب بعض التقديرات، وأن هؤلاء السكان قد أنشأوا مساكنهم بالقرب من الرباط، لما يوفر لهم هذا الأخير من الطمأنينة والأمن، وكان الموضع المشغول بالمدينة والرباط لا تتعدي مساحته هكتارين، كما أن الرباط كان يحتوي على برج للمراقبة، وقام الأمير الأغلبي زيادة الله بإنشاء هذا البرج بعدما هدم برج الزاوية الغربية"، ولذلك تنقل لنا بعض المصادر أن صاحب إنشاء هذا الرباط كان من قبل زيادة الله الأغلبي في سنة 206هـ/721م وتاريخ الإنشاء مسجل على لوحة من الرخام بأعلى مدخل المنار، تقرأ عليها النص التالي:(مما أمر به الأمير زيادة الله بن ابراهيم أطال الله بقاءه على يدي مسرور الخادم مولاه في سنة ستة ومائتين اللهم أنزلنا مترلا مباركا وأنت خير المترلين)[3].

---

(1)اليعقوبي، **البلدان**، تح محمد أمين ضناوي، د ط، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د ت، ص187. – ياقوت الحموي، ج3، المصدر السابق، ص283.

(2) البكري، المصدر السابق، ص35.

(3) السيد عبد العزيز سالم، المغرب الكبير، ج2، المرجع السابق، ص ص449-450.

يقع رباط سوسة على خليج قابس بداخل أسوار مدينة سوسة التي يذكرها ابن حوقل بما نصه:" أما سوسة فمدينة...على نحر البحر، ولها سور حصين... وهي إحدى فرض البحر... ولها غلات واسعة ورباطات كثيرة"[1]. وخارج مدينة سوسة محرس وروابط ومجامع للصالحين، وداخلها محرس عظيم كالمدينة سور بسور متقن يعرف بمحرس الرباط هو مأوى للأخيار والصالحين داخله حصن ثان يسمى القصبة وهو بجوف المدينة متصل بدار الصناعة بسفح الجبل[2].

أ. التخطيط المعماري لرباط سوسة[3]

نشرت العديد من الدراسات حول رباط سوسة، منها من حاولت البحث في تاريخه، ومنهم من انشغل بنموه وتطور عمرانه وعماراته وكلها أكدت على أن الرباط الحالي كثير يشبه الأصلي، وهو أشبه بحصن مربع الشكل طول ضلعه حوالي أربعين متر، تدعم جدرانه الأربعة ثمانية أبراج: أربعة منها في زاوية البناء، وأربعة في وسط كل من حائطه الأربعة، والأبراج مستديرة الشكل عدا اثنين: فلها شكل مربع، وأحدهما يقع في الركن الجنوبي الشرقي حيث توجد في أعلاه منارة مربعة الشكل، يظن أنها أقيمت من أجل ارسال الإشارات الضوئية التي كان يتبادلها جند المحارس، والثاني في وسط الجدار الجنوبي حيث الباب الوحيد للرباط، وكانت تعلو برج هذا الباب ذات شرفات ربما كانت تستخدمه كمئذنة للجامع الذي يقع في الدور العلوي من هذا الجانب من الرباط[4].

وتزدان الأسوار والأبراج في أعلاها بطراز ممتد من العقود الصغيرة المتصلة، وتنتهي الأسوار من أعلى بشرفات مستديرة الرؤوس[5]. أما مدخل الرباط فبارز يتوسط الواجهة القبلية، ويصل المرء إلى الداخل عن طريق درج هابط، يؤدي إلى باب له عتبة ، مفتوح في هذا السور القبلي، فإذا ما اجتاز المرء هذا الباب وجد نفسه في ممر ينقسم إلى ثلاث أقسام: الأول أسطوان تعلوه قبوة

(1) ابن حوقل، المصدر السابق، ص72.

(2) البكري، المصرد السابق، ص173. – ابن الأثير، ج6، المصدر السابق، ص256.

(3) انظر الملحق رقم (10) ، ص88.

(4) سعد زغلول عبد الحميد، ج2، المرجع السابق، ص ص71-72.- عبد العزيز سالم، ج2، المرجع السابق، ص150. – ارنست كونل، **الفن الإسلامي**، تر أحمد موسى، د ط، دار صادر، بيروت، لبنان، د ت، ص ص24-25.

(5) عبد العزيز سالم، ج2، المرجع السابق، ص450.

متعارضة، ويكتفيه على كل من الجانبين أسطوان قبوته نصف أسطوانية، أما القسمان الآخران فتعلوهما قبوتان نصف أسطوانيتين، ويؤدي هذا الممر شملا إلى صحن الرباط[1].

الصحن مربع الشكل تقريبا، طوله من الشرق إلى الغرب 20.40 مترا، وعرضه من الشمال إلى الجنوب 19.20 مترا، ويحيط بالصحن من جهاته الشمالية والشرقية والغربية أروقة تطل عليه ببوائك، عقودها قائمة على دعائم ووراء هذه البوائك غرف لا نوافذ لها، سقفها قبوات نصف اسطوانية ويتراوح اتساع الغرفة الواحدة ما بين 3.50 مترا، 3.60 مترا، باستثناء غرف الجانب الشرقي التي لا يزيد اتساع الواحد منها على ثلاثة أمتار[2].

ويعلو هذا الطابق من الغرف طابق ثان مشابه للطابق الأرضي[3] ولا يختلف عنه إلا في أن مجنبات الصحن حل محلها سطح ارتفاعه من مستوى سطح أرض الصحن نحو 5.30 مترا، ويشغل الجانب الجنوبي من هذا الطابق مسجدا صغير طوله من الداخل 39 مترا وعرضه 7 أمتار، ويتألف هذا المسجد بلاطه عمودية على جدار القبلة تمتد على أسكوبين ، ونلاحظ أن البلاطتين المتطرفتين أكثر اتساعا من بقية البلاطات، ويتوسط المحراب جدار السور الجنوبي للرباط[4] وترتفع أمام المحراب قبة تبدو من الخارج بارزة، وللمسجد خمسة أبواب مفتوحة في الجدار المواجه لجدار القبلة: اثنان عن يمين الشخص المواجه للمحراب ، وثلاثة عن يساره، ولم يفتح في هذا الجدار باب يواجهه المحراب، أما المنار فأسطواني الشكل، قطره نحو 3.62 مترا، وارتفاعه فوق مستوى سطح ممشي السور 15.38مترا[5].

(1) عبد العزيز سالم، **المغرب الكبير**، ج2، المرجع السابق، ص450.

(2) نفسه، المرجع السابق، ص451.– سعد زغلول عبد الحميد، ج2، المرجع السابق، ص 72.

(3) انظر الملحق رقم (13)، ص91.

(4) عبد العزيز سالم، المغرب الكبير، ج2، المرجع السابق، ص 451.

(5) ابن الأثير، ج5، المصدر السابق، ص 96. – ابن عذارى، ج1، المصدر السابق، ص110.

خلاصة الفصل:

وكخلاصة لهذا الفصل استنتجت أن مصطلح الرباط في القواميس القديمة والحديثة للغة وكتب اللغة والحديث يمكن القول أنه المكوث لله في مواطن الضعف بقصد ارهاب العدو وحراسة المسلمين، ومن الناحية الاصطلاحية من خلال معرفة فضل الربط والمرابطة من حيث الأجر والجزاء والترغيب كانت كلمة الرباط تعني الحراسة لأن عمل المرابط في الرباط هو الحراسة والمراقبة في المقام الأول، بل يقول الفقهاء أن الرباط إذا تعدى الحراسة والمراقبة إلى القتال أصبح جهادا.

من جهة أخرى نلاحظ أنه كلما ازدادت الفتوح الإسلامية اتساعا، اتسعت على نسبتها الأربطة الساحلية على سواحل المغرب، فكانت القصور و الرباطات تمثل الخط الدفاعي الأمامي الأول للدولة، نظرا لانتشارها على طول ساحل المغرب الإسلامي، فلقد تعددت الرباطات المتقاربة فيما بينها ، لكن الأهم من ذلك أن هذا التقارب كان له الدور الفعال في التحصين من الخطر، بحيث كان التحذير عن طريق النيران المنبعثة من فوق الأبراج، اضافة إلى ذلك كانت الرباطات متشابهة في الشكل إلا انها تختلف من حيث الهندسة الداخلية، واننا نلاحظ أن لهذا النوع من العمران العسكري كان له صبغة نفسها تلك التي في بلاد المشرق، وتجلى ذلك في رباط سوسة، ويعود ذلك إلى النظرة التي جاء بها الأمير الأغلبي من المشرق.

الفصل الثالث

دور و وظيفة الرباطات في المغرب الإسلامي

I. وظيفة الربط وإدارتها

1. وظيفة الربط

لم تكن الربط في الأصل مؤسسة بعينها ولا منشآت تحصينية، بقدر ما كان نشاطا أو عملا عسكريا ذا صبغة دينية، بمثلة الجهاد نفسها وقد كان مركز هذا النشاط الديني والعسكري في البنايات العسكرية والحصون الحربية، لتصبح هي بنفسها رباطا، لذلك حدث تحول لهذه المنشآت من الفعل إلى مؤسسة الرباط التي بدأت منذ عهد الأغالبة كما وقد ذكرنا سابقا، فتخضع هذه الأربطة لجملة من المبادئ التنظيمية التي تشرع لمختلف النشاطات[1]، وكان للصبغة الدينية للربط فب بلاد المغرب الإسلامي من بين الوظائف التي تميزت بها على طول السواحل للبلاد، أين كان نشر الدعوة الإسلامية بين الأفارقة والجاليات النصرانية[2].

وقد عرفت السواحل ببلاد المغرب الإسلامي وخاصة سواحل إفريقية حركة دعوية إسلامية نشاطات معتبرة في عهد الخليفة عمر بن عبد العزيز ووالیه على إفريقية اسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر المخزومي، حسب بعض الروايات للمؤرخين عن نظام المرابطة الذي كان يتبعه الخليفة عمر بن عبد العزيز في الفتح لبلاد المغرب الإسلامي، أين كان يبعث مع كل عملية فتح مشايخ يمارسون عملية الفتح عن طريق حلقات دعوية لنشر الإسلام غير السلاح أي بطريقة سلمية، وكان لهذا الوالي الأثر البالغ في نشر الإسلام بفضل سيرته الحسنة فأسلم على يده عامة سكان المغرب الإسلامي، في عهده كثرت المساجد وأشهرها جامع الزيتونة وكما ساهمت بهذه الرسالة الدينية والتثقيفية في بلاد المغرب الإسلامي جملة من المساجد و الرباطات والمحارس على طول السواحل، وبذلك صبغ الإسلام في هذه المنطقة بفل هذا الصرح العظيم الربط، وهذا الأخير كانت إحدى المؤسسات الدينية والحربية التي أعطت هذا البعد الإسلامي للمغرب، بالإضافة إلى ذلك أصبحت هذه المؤسسات تمد الجند الإسلامي بالمؤن والأساطيل.

---

(1) عبد الكريم شبلي، **الأربطة والمرابط بإفريقية من خلال النوازل المالكية(ق8 هـ-/10 م)**، كليه العلوم الاسلامية والاجتماعية، جامعة تونس، ص7.

(2) ابراهيم حركات، **مدخل إلى تاريخ العلوم بالمغرب المسلم حتى القرن 9هـ/15 م**، ج3، ط1، التصوف، دار الرشاد الحديثة، 2000م، ص51.

لقد اختلط الأمر على كثير من الباحثين بشأن وظيفة الرباط: فقالوا أنها كانت حربية في الثغور البرية والبحرية منذ البداية، ثم تحولت إلى دينية وتعليمية، وظهر ذلك في بلاد المغرب لعدة أسباب منها:

ضعف خطر المسيحية، تراجع قوة المسلمين وتقلصهم، توقف حركة الفتوحات، انتشار تيار التصوف وتعدد طرقه ومذاهبه[1].

والواقع التاريخي يبدد هذا الرأي وينفيه، لأن حركة الفتوحات والمد الإسلامي قد توقف لكن ظهور الفتن الداخلية والحروب الأهلية وقيام الدولة وسقوطها خلال القرون الخمسة الأولى للهجرة، ثم ما أعقبه من ظهور الصليبين، ليوحي كل ذلك أن حركة الجهاد لم ولن تتوقف، كما أن حركة الزهد بلغت ذروتها في القرن 2هـ/8م وفي القرن 3هـ انتشر التصوف بطرقه ومذاهبه.

و الرباطات الأولى متمثلة في الثغور كان يعمرها كبار الصحابة والتابعين والسلف والعباد والزهاد من مختلف البقاع والطبقات لعظم أجر المرابط بها، وأن مكثهم فيها يفتح أبوابا شتى لنقل العلم إلى عموم المسلمين في مختلف البقاع استشعر هؤلاء الصفوة عظم المقام بها[2]، فغدت بهم معاهد ثقافية لتدريس مختلف علوم اللغة والفقه والحديث والتفسير والتصوف وغيرها فجذبت الطلاب من مختلف الجهات طلبا للعلو والمرابطة.

والربط كمؤسسة دينية وحربية في بلاد المغرب الإسلامي فقد ظهرت في صورتها المعروفة في رباط المنستير ورباط سوسة اللذان ذكرا في فصل سابق.

2. إدارة الربط

تخضع الرباطات البحرية، لتنظيم مضبوط فمن حيث التأسيس تعتبر الدولة المسؤول الأول عن إقامة التحصينات وترميمها وأعمال الصيانة فيه وقانونيا، "إن قام غير الإمام بسد ثغوره (أي بعد تعذره) فهو له الفضل، ولهذا تكررت مساهمة عدد من الأثرياء، خاصة في القرن الثالث

(1) سمير عبد المنعم خضري غنيم، **الأربطة الباقية بالقاهرة من العصر المملوكي (648-923هـ/1250-1517م)**، لنيل درجة الماجستير في الآثار الإسلامية، اشراف محمد مصطفى محمد نجيب، كلية الآثار، جامعة القاهرة، 1998م، ص9.

(2) نفسه، ص10.

الهجري/ التاسع الميلادي، في انجاز عدد من الأربطة، وبالرغم من ذلك كانت تتم موافقة الدولة، فإن السلطة التي كانت تمارس الإدارة والتصرف في الأربطة من خلال مسؤول تعينه لهذا الشأن، وكانت الأربطة مستقلة عن بعضها البعض في التصرف في المتاع والعدة.

ولقد كان يطلق على المسؤول عن الرباط عدة ألقاب نخص بالذكر ما تخصنا وخاصة مستوى سواحل المغرب الإسلامي، وأطلق لقا "**أمين**" مثل أمين المنستير "**الأعرج**" و" **شيخ الحصون** مثل سعدون الخولاني[1] (ت 324هـ/936م) بالمنستير. و" **متولي أحباس**" بسوسة، و" **صاحب المحرس**" بقصر الطوب بإفريقية، ويبدو أن أمين الرباط كان يؤدي دور " **وال**" محلي يراقب المرابطين ويوزع الغنائم والمئونة عليهم، كما يتجسس عليهم لفائدة الأمير[2].

تؤكد كل هذه المؤشرات انضواء الأربطة تحت إدارة المؤسسة العسكرية، أي ديوان الجند، والدليل على ذلك انتداب الأمير الأغلبي زيادة الله الأول لمائتين من المرابطين، كما استنجد بأهل الثغور ورباط المنستير لتجنيد 12 ألف فارس.

ولقد كانت الأربطة تخضع إلى قواعد تنظيمية أساسا بحيث:

– كان الرباط يزود عادة بمنارة توقد فيه النار ليلا للنذير باقتراب سفن العدو. مثلا محرس بطوية مزود بمنارة مرتفعة يرقى إليها في 166 درجة، وكان المرابطون يتناوبون الحراسة، فيقوم نفر منهم في أبراج الحراسة بالتناوب بالليل والنهار، وعن طريق هذه الإشارات تستعد الحاميات المرابطة ةتتأهب لملاقاة العدو برا وبحرا[3].

– تغلق أبواب الأربطة كامل الليل ولا تفتح حتى طلوع الشمس، وعند الضرورة يصعد الرجل القادم إلى الحصن بالحبال. بخصوص المرابطين، يجب أن يحصلوا على إذن والي للمرابطة، ولعلا هذا يعني التسجيل في ديوان الجند، ولا ينبغي لهم الإنتقال من رباط إلى آخر إلا بضمان ذوي الثقة.

---

(1) سعدون الخولاني: نسبة لخولا قبيلة من اليمن مشهورة، واسمه ابكل بن احمد ابن مالك، وهو من أهل القيروان وعظماء علمائها. وسعدون لقب له.: عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي، أبو الفضل (المتوفى544هـ)، **الشفا بتعريف حقوق المصطفى**، تح علي محمد البجاوي، ج1، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، 1984م، ص686.

(2) عبد الكريم الشبلي، المرجع السابق، ص8.

(3) عبد العزيز سالم وأحمد مختار العبادي، المرجع السابق، ص42.43.–فوزية محمد عبد الحميد، المرجع السابق، ص60.

فيما يخص الأربطة المتجاورة، ولكل منها متاعها وعدتها وهي أولى بالتصرف بما فيها ولا يتبادل فيما بينها، لكن في حالة الحرب، مثلا، يجب أن " ينفر من في صفاقس لغوث سوسة إن لم يخف على أهله بعد رؤية سفن أو خبر عنها"[1].

(1) عبد الكريم الشبلي، المرجع السابق، ص11.

II. دور الربط (العسكري والديني والاقتصادي)

1. الدور العسكري

ولقد كانت الأهمية الدفاعية عند الأمراء الأغالبة تحتل الأولوية في استراتيجية الدفاع وتأمين أكثر للثغور على الخط الساحلي، فأنشأوا منشآت عسكرية عرفت بالرباطات وهي شبيهة بالقصور، وكانت مخصصة للمجاهدين المتحمسين لنصرة دينهم فكانوا يرابطون بها، أما الجندي الأغلبي فكانت تخصص له المعسكرات ويحيط بها عادة الربط الإسلامي سور مرتفع تقوم على أركانه وعلى مسافات منه أبراج يقف فيها الحراس وتوقد بها النيران[1].

وكان رباط سوسة الأغلبي ويطلق عليه قصر الرباط وهو كما جاء في الحلل السنوسية مأوى للصالحين والمجاهدين المرابطين، وكان بداخله حصن ثان على عهد مع الدفاع وممارسة العمل العسكري والأمر الذي ساعده على تقديم دوره أنه كان متصلا بدار الصناعة في سفح الجبل[2].

ولقد ارتأت الضرورة الحربية لصد الهجمات الموالية من طرف الروم قام الأغالبة بالعناية بتحصين السواحل وكان ذلك عن طريق انشاء المحارس والأربطة، والتي بدورها لعبت دورا هاما في الحياة والعسكرية ببلاد إفريقية وكانت المحارس والأربطة[3] المجاورة كثيرة وقريبة من بعضها البعض إعلان الرسائل الخاصة والتنبيه والتحذير برا وبحرا.

ولقد كان لأمراء الأغالبة المهتمين بالعمارة الحربية هو الامير ابراهيم بن أحمد الذي بنى الربط والمحارس على سواحل البحر، ولقد ورد في تاريخ ابن خلدون عن هذا الامر " كان أحسن السيرة وأكثر العطاء للجند وكان مولعا بالعمارة فبنى بإفريقية نحو من عشرة آلاف حصن بالحجارة والكلس وأبواب الحديد"[4].

---

(1) حسين مؤنس، **معالم تاريخ المغرب والأندلس**، د ط، دار الرشاد، القاهرة، 1997م، ص98.

(2) محمد بلغيث، **الربط بالمغرب الإسلامي ودورها في عصري المرابطين والموحدين**، رسالة ماجستير في التاريخ الإسلامي، إشراف عبد الحميد حاجيات، جامعة الجزائر، 1987/1986م، ص114.

(3) عبد العزيز سالم، **المغرب الكبير**، ج2، دار النهضة، بيروت، 1981م، ص449.

(4) ابن خلدون، المصدر السابق،ج4، ص256.

أ. الدور العسكري للربط في فتح صقلية[1]

كان أكثر حدث خارجي عرفته دولة الأغالبة هو فتح صقلية في عهد الأمير زيادة الله الأول (201-223هـ/817-838م) فقد كانت أرض الأغالبة منطلق للفتوحات في أراضي جزيرة صقلية المجاورة والتابعة للإمبراطورية البيزنطية. وباعتبار أن صقلية بلاد خصبة كثيرة الخيرات، غنية بمواردها الطبيعية وثرواتها المعدني[2]، وكانت بالإضافة إلى ذلك كله تمثل بلاد جديدة يمكن فتحها واستغلالها في زيادة مصادر الثروة الاقتصادية لدولة الأغالبة، وخاصة وأن إفريقية كانت قد اقفرت من هذه الموارد بسبب ما تعرضت له من فتن مدمرة وحروب دامية، زد على ذلك الأغالبة كانوا يدركون أهمية موقع صقلية الجغرافي بالنسبة لدولتهم. فهي تحكم في النصفين الشرقي والغربي من البحر الرومي يمكن لمن يستولي عليها أن يفرض سيطرته على السواحل المجاورة لها والجزر القريبة منها.

وكان الخروج لغزو الروم في صقلية غاية ما ينساها هؤلاء الصالحون ولا شك أن الأمير زيادة الله بن الأغلب قد نجح في استثارة هذا الشعور الديني طاقة كبيرة لها وزنها وأهميتها في الفتوحات الإسلامية، وكان هذا بفضل الدور الديني الذي لعبه الربط والذي له كلام مخصص في المبحث الموالي.

وكانت الغارات على صقلية دفاعية لأن صقلية كانت قاعدة للبيزنطيين الذين كانوا يحاولون بدورهم استرجاع إفريقية، أو يقومون بإخضاع مناطق من نواحي المغرب الإسلامي في محاولة منهم لتوقيف تقدم حركة الفتح الإسلامي بالإضافة إلى انها ملجأ للبيزنطيين الفارين من ولاية إفريقية.

وبعد استتاب الفتح الإسلامي في المغرب عرفت هذه الغارات طابعا هجوميا كتلك الحملتين اللتين قاما بها كل من موسى ابن نصير وعبيد الله بن الحبحاب على الجزيرة، إلا أنهما رغم الغنائم

(1) صقلية: بصاد وقاف مفتوحتان وهي اسم رومي تعني تين وزيتون، من جزائر المغرب مقابلة لأفريقية وتكون على شكل مثلث وهي جزيرة خصبة كثيرة البلدان والأمصار حيث فيها ثلاث وعشرون مدينة وثلاثة عشر حصنا ومن الضياع ما لايعرف بحصانتها وعيونها كثيرة وكانت قبل الإسلام قليلة العمارة فلما فتح المسلمون بلاد المغرب هرب أهل افريقية إليها فأقاموا فعمروها فأحسنوا عمارتها، ينظر: ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج3، ص416.

(2) محمد طالبي، المرجع السابق، ص90.

الكبيرة التي احرزها القائدين بقيت مجرد غارتين لم تستطيعا إنشاء حامية أو قاعدة بالجزيرة. وبالتالي فهما لا يختلفان عن الغارات التي كانت تقوم بها جماعات الغزاة[1].

وحدا للهجمات الإسلامية قام البيزنطيون ببناء تحصينات في صقلية وأصبحوا بها يهاجمون السفن الإسلامية ، ذلك الشيء الذي جعل الأغالبة ينشؤون الربط والمحارس للمرابطة والجهاد كالرباط الذي بناه عبد الرحيم بن عبد ربه المسمى" قصر زياد"، وقد كان أحد المرابطين برباط المنستير [2].

وكانت هذه الربط إضافة إلى ما كانت تدور فيه من مجالس العلم والتعبد كانت تنطلق منها السفن إلى صقلية.

سنة 212هـ/827م هي التاريخ الذي قرر فيه زيادة الله الأول تجهيز حملة ضخمة لفتح صقلية بعد ظهور بوادر مساعدات خارجية تمثلت خاصة في انقلاب قائد الأسطول البيزنطي فيمي" يوفيموس" ضد الإمبراطور، ولذلك غزا زيادة الله صقلية، ولقد كان لهذه الحملة المرابطين الذين هم جل فرس الحملة واضافة إلى ذلك أهل العلم والبصائر من المرابطين، وكان تعيين الفقيه المرابط "أسد بن الفرات"[3]كقائد لهذه الحملة على الرغم من كبر سنه في هذه الفترة ربيع الأول 212 هـ أي سبعين عاما، وكان هذا الاختيار دليلا على فورة المشاعر الإسلامية في هذه الفترة والأثر الكبير لعلماء الدين الربانيين على الشعب المسلم، وكان أسد بن الفرات يبدى رغبته فى هذه الغزوة كواحد من المسلمين لأنه كان محبا للجهاد عالما بمعاني ومقتضيات آيات النفرة في سبيل الله ودور العلماء في ذلك وأيضا كان يكره الشهرة والرياء ولكن ابن الأغلب أصر على أن يتولى قيادة الحملة العسكرية وأيضا يكون قاضيا للحملة أي جمع له القيادة الميدانية والروحية لعلمه بمكانة أسد بن الفرات وأثره في الناس وحبهم له[4].

(1) ابن الأثير، المصدر السابق،مج4، ص416.

(2) المالكي، المصدر السابق،ج1، ص241.

(3) هو أسد بن الفرات بن سنان مولى بن مسلم بن قيس الحيراني المغربي يكنى أبو عبد الله ، أصله نيسابوري،انظر ابن عذارى، المصدر السابق، ج1، ص291.

(4) ابن عذارى، المصدر السابق، ص102.

وفي ذلك عبر "أسد بن الفرات" بقوله" ما أحوجهم إلى من يجري لهم مراكبهم بالكتاب والسنة" وكانت الحملة قد استقرت في البدء بمدينة "مازرة" في أقصى الشاطئ الجنوبي الغربي[1].

واستولى المسلمون على عدة حصون من الجزيرة ووصل إلى قلعة تعرف بقلعة "الكراث"[2] وفيما مرض القائد "أسد بن الفرات" وتوفي في ربيع الثاني (213هـ/828 م) حينها تم تعيين "محمد بن أبي الجواري" الذي حاول تشديد الحصار على المدينة فتواصلت المرابطة والجهاد من أجل اتمام فتح صقلية، فبعد وفاة "محمد بن أبي الجواري (214هـ/829م) ولو زهير بن برغوث الذي عرف في عهده أزمة كبيرة حيث حوصر المسلمين في حصن "ميناو" و لم يفك الحصار عنهم إلا بوصول الإمدادات من إفريقية والأندلس سنة (215هـ/830م) وبعد وفاة الأمير زيادة الله الأول سنة 213هـ/838م) خلفه أخوه أبو عقال الأغلب بن ابراهيم سنة (238هـ/841م) الذي أمر بمواصلة الفتوحات ، واستطاع المسلمون فتح حصن الغير "Corlone" سنة (226هـ/841م) وبهذا الفتح يكون المسلمون قد وضعوا أيديهم على الجزء الغربي من الجزيرة.

وتعتبر فتح بلرم بقيادة الفضل بن جعفر الهمداني سنة (227هـ/842م) المرحلة الثانية من فتح صقلية لتليها المرحلة الثالثة وهي بمثابة الفتح الفعلي لجزيرة صقلية التي ارتبطت بعهد الأمير ابراهيم الثاني الأغلبي، الذي فتحت سرقوسة في عهده بقيادة أمير صقلية جعفر بن محمد بن خفاجة في 144 رمضان 264ه/21 مارس 878م بعد حصار دام تسعة أشهر[3] شن فيه الفاتحون هجوما كبيرا قضوا فيه على الأسطول البيزنطي.

2. الدور الديني

و كان الجهاد والعلم يمتزجان امتزاجا، وهذا مات تمثل بشكل رائع في اسناد حملة صقلية إلى أسد بن الفرات الذي كان إلى جانب علمه وفقه واحدا من الشجعان، كذلك ظهر الارتباط الوثيق بين العلم والجهاد في رباطات السواحل ومحارسها، وأشهرها رباط المنستير قرب سوسة، حيث انصرف المرابطون إلى أعمال الزهد والعبادة، وأخذ العلم من المشاريع الذين كانوا يلجؤون

(1) ابن الأثير، المصدر السابق، ج5، ص436.

(2) الكراث: هي جزيرة الكراث تقع فيها قلعة، وهي على بعد اثني عشر ميلا عن افريقية: ينظر: ابن عذارى، المصدر السابق، ج1، ص135.

(3) ابن الأثير، المصدر السابق، ص437.

في أوقات معينة إلى ربطهم، وذلك في فراغهم وهم في انتظار مجاهدة العدو اذا ما فكر في النزول في ثغورهم.

ومن هذا نرى أن للرباط دور هام في نشر التعليم وتلقينه لفئة كبيرة من المجتمع، وذلك إلى جانب ما كانت تقوم به من وظيفة دينية محضة، فالرباط كلمة أطلقت أول مرة على بناية مستقلة يرابط فيها المسلمون للجهاد في سبيل الله ولكن رغم الطابع العسكري والدفاعي فقد كانت هذه الرباطات تقوم بأدوار دينية وتعليمية وبذلك كان للرباط دور هام في التدريس والعبادة ومنطلق للقضاء على الفتن، فهو مدرسة ومعهد للدولة[1].

والرباط مدرسة ثانوية والتعليم به هو شرح لأصول التعليم بالكتاب فهناك تفسير القرآن الكريم والحديث الشريف وكتب الفقه، وكانت تعقد لها مجالس خاصة يومي السبت والخميس من كل أسبوع[2].

وكان الرباط من المعاهد العلمية الهامة بالمغرب الإسلامي، وتجلى ذلك في إفريقية عهد الدولة الأغلبية، أبين كان له دور ديني يتجلى من خلال الزهاد والرجال المالكيين، دون ان ننسى من أن الدولة الأغلبية سنية المذهب، وقد ظلت المعارضة التي تبناها مرابطيها على المذاهب التي ظهرت في بلاد المغرب الإسلامي، وكان الفاطميين أول من واجهوا هذه المعارضة، فبعد أن كانت الربط تلعب دورا في حماية الثغور ها هي الآن تلعب دور المعرض للفاطميين التي كانت تفرض التشيع على أهالي سكان افريقية وبلاد المغرب الإسلامي أجمع، لهذا كان لابد على هذا الصرح بصفته الدرع الحامي للعقيدة السنية والإسلام.

وكانت الربط بإفريقية التي عمرها مرابطون فقهاء المالكية الذين ثبتوا أقدامهم في القيروان وبسطوا ظلهم على إفريقية وأشاعوا بين الناس تقاليدهم، من الشدة والورع عن مصاحبة السلطان ومحاربة أهل الأهواء والبدع والميل إلى الزهد في متع الدنيا، وغدوا قليلة الناس ومحيد رجائهم،

(1) علي عشي، **المغرب الأوسط في عصر الموحدين، دراسة تحليلية للأوضاع الثقافية والفكرية (534ه/1139م إلى 633هـ/1235م)**، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الوسيط، إشراف مسعود مزهودي، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2011-2012م، ص109.

(2) نفسه، ص109.

وهذه العوامل أخرجت الربط من وظيفتها العسكرية من إيواء الجند المدافعين عن الثغور ورد أساطيل الغزاة بل اتجهت إلى تحدي الخلافة الفاطمية، ولقد كان أهل السنة بالقيروان يقاومون الدعوة الشيعية.

ولقد كان لسقوط الأغالبة الأثر البالغ في كثير من أوطان المغرب الإسلامي وبصفتها كانت دولة سنية، وبرحيل آخر أمير أغلبي زيادة الله بن عبد الله[1]، أين عرفت حركة الرباط والمرابطة صورة جديدة للصراع المذهبي في الداخل كما عرفت العمليات الثغرية صراعا عنيفا في حوض البحر الرومي بين بيزنطة والدولة الأموية في الأندلس والدولة الفاطمية التي ترى أن عبد الله المهدي هو المهدي المنتظر[2]، مخالفة بذلك بعض الفرق الشيعية الأخرى.

فعلى الصعيد الثغري تميزت جهود الدولة الفاطمية بتعميرها للمنطقة وحراسة سواحلها لأسطول بحري، حتى فاقوا الأغالبة في شدة العناية بالأساطيل بحراسة ثغورها ويسجل انشاء مدينة المهدية سنة (303ه/915م) أول اجراء عملي قام به الفاطميون لتطبيق سياسة بحرية.

و لقد كان الصراع بين الفاطميين وأهل صقلية مزال يتواصل إلا أن وصل إلى الأمراء الفاطميين بتحصين ثغورهم، والسيطرة على المنطقة لبلاد المغرب الإسلامي ويدعوا هذا الصراع إلى السيطرة التامة، إلا أنه وعلى أساس النصوص تثبت أن الفاطميين قد قاموا بتشييد الربط كما فعل الأغالبة من حصون وقلاع وقاموا بترميمها لا أكثر كترميم قلعة زناتة.

أ. المرابطون

إن الدور الذي كانت تقوم به الرباطات في بلاد المغرب الإسلامي، ضمن الدعوة الدينية والمهمة الدفاعية، وقد كان وراء هذا الدور الفعال مجموعة من المرابطين الذين كرسوا حياتهم من أجل إحياء الدين وتواصل الرسالة المحمدية وإعلاء كلمة الله، لهذا سوف نكتفي بذكر العباد الذين اعتكفوا بسوسة والمنستير وبعض المرابطين الموسمين، كما أنه لا بد من تأكيد التنوع الجغرافي لهؤلاء

(1) ابن عذارى، المصدر السابق، ص173.

(2) عبد المجيد النجار، **المهدي بن تومرت**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983م، ص240.

المرابطين فمنهم من قدم من البصرة ومن الرقة[1]، ومن مصر، ومن المغربيين ومن الأندلس وحتى من السودان الغربي[2].

ب.مرابطون برباط سوسة

– محمد بن رزين السوسي (ت.255هـ/868م)، من عباد سوسة، سمع من أسد بن الفرات وكان من روات للحديث والفقه[3].

– أبو الأحوص أحمد بن عبد الله، من عباد سوسة، توفي بها سنة 284هـ/897م). " أصله من المغرب الأقصى وانتقل إلى إفريقية، وصحب سحنون بالقيروان وأخد عنه الكثير[4]، ويذكر لنا المالكي أنه أتى إلى سوسة مرابطا فأقام بها مدة حتى نفذت نفقته فأراد الرجوع إلى المغرب. إلا أنه تراجع عن قراره بفضل حادثة طريفة حدتث له جعلته يتراجع[5].

– يحي بن عمر بن يوسف الأندلسي (ت.289هـ/902م)، يمكن أيضا اعتباره من عباد سوسة رغم أنه كان يرابط بالمنستير. قدم من قرطبة مع أهله استوطن سوسة إلى آخر حياته، وكان يعد من أبرز علماء إفريقية فبي العصر الأغلبي[6]، ومن مؤلفاته نحو اربعين جزءا منها "أحكام السوق"، كتاب "أحمية الحصون"، وكتاب "فضل المنستير والرباط"[7].

– أبو عبد الله محمد بن عبد الكريم المسموحي (ت 306هـ)، من أهل القيروان ويعرف عليه أنه من هواة السياحة والرباط بسوسة[8]، أورد المالكي أن أبا داود العطار قال" صحبت أبا عبد الله إلى الرباط، فنزلنا منزلا للإخوان لي، فأتونا بالطعام فأكل ثم تقيأ الطعام وقال: يا أبا داود أدخلت بطني طعاما لا يحل....فتدبرت قوله فإذا القوم غرمائي ولي عليهم دين، وهدية المديان مكروهة عند مالك"[9].

(1) المالكي، ج2،المصدر السابق، ص400.

(2) حسن حسني عبد الوهاب، ورقات، ج2، ص51.

(3) أبو العرب، المصدر السابق، ص119. –المالكي، ج2، المصدر السابق، ص12 هامش 8.

(4) حسن حسني عبد لوهاب، ورقات، ج2، المصدر السابق، ص137.

(5) المالكي،ج1، المصدر السابق، ص482.

(6) نفسه، ص490.

(7) حسن حسني عبد الوهاب، ورقات، ج2، المصدر السابق، ص129.

(8) المالكي، ج1، المصدر السابق، ص ص414-415.

(9) نفسه، ص414.

ج. المرابطون برباط المنستير

وكان رباط المنستير يزخر بمجموعة من المرابطين الموسمين نذكر منهم:

– عبد المومن بن المنستير الجزري(ت.حوالي238هـ) روى عن مالك وأصحابه، وكان رجلا صالحا كثير الرباط، كثير الرواية لغرائب الرباط[1].

– أبو عمرو بشير بن عمروس المتعبد بالمنستير، من معاصري سحنون وكان من المتعبدين الزهاد المنقطعين إلى الله عز وجل، وكان من مرابطي الليل لا ينام منه إلا قليلا[2]، إستقر بالرباط بعد أن قضى مدة بحصن طرسوس، وكان ملوك إفريقية يأتونه إلى بيته بالمنستير فلا يخرج إليهم، وربما كان هو أيضا من قدماء المحاربين إذا كان يتمتع بجنان بالقرب من القصر الكبير[3].

– حمديس القطان (ت 289هـ/901م) من أصحاب سحنون ويذكر عنه أنه كان يكره فعل الذين يتجمعون للميعاد ويضربون صدورهم، وكان يقول لو كان لي في الأمر شيء لفنيتهم من المنستير[4].

(1) المالكي، ج1، المصدر السابق، ص ص332–429.

(2) نفسه، ص214.

(3) نفسه، ص420.

(4) نفسه، ص ص419–420.

3. الدور الاقتصادي

المعروف أن سكان الربط فئة اجتماعية مميزة عملها حراسة سواحل وتخوم بيضة الإسلام من الاغارات المرتقبة للنصارى من المشرق والمغرب، لهذا نجد أن دراسة أحوال الربط والمدن الثغرية ودورها الاقتصادي من الأهمية التي كانت تتوفر عليها، إلا أنه لا يمكننا أن نقدر المكانة الاقتصادية لهذه المؤسسة إلا إذا حددنا الحاجة المالية الكافية للحصون والروابط وإنفاقها في مصلحة الحرس والموكلين بالدروب والحصون، وغير ذلك، ويحتاج إلى شحنها بالمرابطين والمقاتلة وراتب مغازيها الصوائف والشواتي في البر والبحر [1].

أ. الربط والزراعة

ومن خلال ذلك كانت الربط تزخر بأنظمة إقتصادية تأمن جمع الخيرات والأموال، و بالإضافة إلى ذلك توفرها على أراضي زراعية، ودور مال، ومناطق الصيد البحري، وقد تزامن وصول أبي ابراهيم الأغلبي مع الزلزال الذي ألحق أضرارا جسيمة بالمدن[2]، وقرى إفريقية، خاصة في منطقة الساحل[3]، ولهذا إرتبط إنشاء الرباطات بإعادة تعمير المدن وإحياء المناطق الفلاحية. ومن جهة أخرى نعرف أن الدولة الأغلبية قد فرضت على مرابطي صقلية قطع الخشب مقابل تمتعهم بأراضي الحصون التي قاموا بإنشائها.

علما أنه في تلك الفترة حدث تراجع عمراني وفلاحي في آخر العهد البيزنطي[4]. وكانت سياسة أبو ابراهيم أحمد تهدف إلى إعادة إحياء الأراضي الزراعية الساحلية وبقية المناطق التي تطورت فيها الربط، وخاصة الهامة منها بأراضي سميت "بالحمى"[5]، وقد ساهمت هذه المؤسسة بزراعة الزيتون والبقول وتعدد القرى[6].

---

(1) ابن خرداذبة، **المسالك والممالك، نبذة من كتاب الخراج وصنعه الكتابة**، د ط، مطبعة ليدن المحروسة، 1889م،ص253.

(2) المقدسي ص177.

(3) عياض (طالبي)، ص130.

(4) محمد الطالبي، دراسات، ص126.

(5) فوزي محفوظ، **عمارة الخلفاء**،ط1، المنشورات الجامعية، منوبة، 2013م، ص374.

(6) المالكي، ج2/ ص ص ص 34، 152، 419.

وكانت رباطات إفريقية تتمتع بأحباس متعدد، أهمها أراضي الأحمية التي أفرد لها عباد إفريقية، مثل أبي الفضل ويحي بن عمر[1]، وكانت و كانت أراضي حمى المنستير تحتوي على آلاف البساتين، والمهدية و نفزاوة ، مما جعل من الرباط مؤسسات فلاحية ومن المرابطين مزارعين، ويؤكد ذلك مناهضة نساك الوطن للضريبة النقدية الجديدة التي أحدثها الأمير عبد الله بن ابراهيم

الأغلبي على المنتوج الفلاحي[2]، وكانت تزرع بها الحبوب وتربية المواشي[3]. وكانت إفريقية الأغلبية تصدر القمح والشعير إلى الإسكندرية والرقيق السوداني إلى الشام ، ولقد ورد إضافة إلى ذلك توفر المرابطين على قطع أراضي خاصة[4].

وكانت جنانهم تحتوي على العنب والتين والرمان والبقول[5]، وكانوا في أول الأمر يفلحون ويحيون هذه الأجنة بأنفسهم، وهي إحدى الوظائف الأساسية التي أسس من أجلها الرباط[6]، وقد كان بعض المرابطون المتعبدين بالرباط يزاولون نشاطهم الفلاحي في أوقات مخصصة ويعتنون بجنانهم، أن الدراسات التاريخية المتعلقة بالربط اقتصاديا بينت على أن الربط كانت تحتوي على فئة أرستقراطية الدينية والزراعية، وهو بذلك نوع جديد ظهر في الربط، كما أن هؤلاء المرابطين أصبحوا لا يكتفون بامتلاك المنازل وبيوت بالقصور دون الإقامة بها مع الحضور لأخذ نصيبهم من الصدقات التي كنات تجمع من الوقف والأحباس ، بل استحوذوا على الأراضي التي غرسها أورثوها لذويهم[7] .

(1) عياض، **ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك**، تح عبد القادر صحراوي، ج4، ط2، المملكة المغربية،1983م، ص ص317-364.

(2) المالكي، المصدر السابق،ج1 ، ص331.- ابن عذارى، المصدر السابق، ص95.

(3) ناجي جلول، المرجع السابق، ص201.

(4) المالكي، ج2، ص443.: من ذلك رأى محمود المتعبد النبي في المنام وهو يقول له" اجمع الفول الأخضر من جنانك واحمله إلى الغدامسي فإنه اشتهاه".

(5) المالكي، ج2،المصدر السابق، ص ص 38-40.

(6) ناجي جلول، المرجع السابق، ص201.

(7) الونشريسي(أبي العباس أحمد بن يحي)، **المعيار المعرب**، تح محمد حجي،ج6، د ط، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1981م، ص ص177-180.

وكل هذه العوامل التي ساعدت على تطور نظام الزراعة والفلاحة على مستوى الربط في المغرب السلامي خلال العهد الأغلبي تفسر الحالة التي وصل إليها رباط المنستير من رخاء، ورغم كل تلك الصعوبات التي كنات تحيط بالربط من اضطرابات حربية إلا أنها لم توقف مزاولة النشاط الزراعي، ودليل ذلك أنها كانت تمد المنتجات الفاكهية إلى الربط الأخرى[1].

ب.الربط والصيد البحري

ونتيجة إحكام الأغالبة على زمام البحرية دون منازع احتكروا دور الوساطة التجارية البحرية وفضلا عن ذلك في مزاولة النشاط الاقتصادي على مستوى الربط، وبصفتها ربط ساحلية لا يمكن أنت تخلوا من نشاط البحري وممارسة الصيد، ولقد كانت السفن التي تصنع على مستوى دار صناعة السفن، كانت لها دور في تزويد المرابطين الوسيلة التي هي اساس هذا النشاط، وإضافة إلى السفن الحربية كانت هناك قوارب صغيرة الحجم مخصصة للصيد في البحر والمساهمة بكسب الرزق من عملية الصيد.

ولقد أكدت الدراسات الأثرية الحديثة وجود مصائد رومانية، بالمنستير، كما عثر على بقايا مصانع لتصبير السمك بكل من المنستير وهرقلة وغيرها من المدن الساحلية التي بها أربطة[2]، والتي كانت مناطق مرابطة في العصر الإسلامي، وذلك يؤكد وجود روابط بين الربط والصيد البحري، وعلى ذكر ذلك أوضح البكري حيث قال أن مرابطي جبل آدار كان " عيشهم من نبات الأرض ومن صيد البحر[3]، وحسب قول ابن حوقل عن أهل رباط شقانص فقال" أمة مقيمة على صيد البحر"[4]، وأكد القابسي في إحدى فتاويه، "أن التصيد في بحر المنستير كالأحشاش والاحتطاب من شعاريها، لا يسع منه الانتفاع بغير من بها إلا بما لا ضرر عليهم فيه ولا منفعة لهم في تركه"[5]، وعلى ذكر التصبير الذي كان منذ فترة التواجد البيزنطي الروماني في المنطقة، فقد كانت تفرض الضرائب الموظفة على الصيد البحري واستخراج الملح الذي كان يستعمل في

(1) الإدريسي، مج1، ص144.

(2) ناجي جلول، المرجع السابق، ص202.

(3) البكري، المصدر السابق، ص83.

(4) ابن حوقل، المصدر السابق، ص73.

(5) الونشريسي، المصدر السابق، ج2، ص ص5- 6.

التصبير، وكانت هذه الضرائب عبارة عن هبات وصدقات التي ترد على الحصون تختلف عن الهدايا الأخرى، وكان العباد يتمتعون بجزء منها، وهكذا اصبح الصيد يساهم في النمو الاقتصادي للربط، وحدث أبو بكر المؤدب الصقلي حيق قال: كان أبو هارون قد سكن "قصر" رباط "لمطة".... وكنت أنا من سكان رباط "قصر" لمطة. قال: فقال لي مرارا وتكرارا، " يا أبا بكر اشتهيت حوت قلقط يعمل في المنستير فاشتره واعمله لي[1]، ...." فأنا والله أرسلني ابا هارون الي المنستير أشتري له حوت قلقط اشتهاه"[2].ومن هذا كانت انواع السمك في النستير دلالة على جودة المنتوج المتاعمل به، وكان يسوق إلى خارج الرباط.

ج. الربط والتجارة

ظلت الكتب الجغرافية والرحالة تفيدنا بمعلومات عن تواجد نمط تجاري كان قائما بين الربط الأغلبية وباقي الربط الساحلية المجاورة، والمسافات بين كل رباط وآخر والمدن الواقعة عليها، ونشيد جهود الأغالبة في توفير الأمن عليها وتطهيرها من الصوص[3] وقطاع الطرق فالأولى بالنسبة للخيرات المتواجدة داخل الربط والثانية فيما يخص الطرق التجارية ببناء محارس لحماية القوافل، تؤكد المصادر على وجود عدة رباطات على الطرق البرية وقد ارتبطت بشكل كبير بمدن الظهير الصحراوي والتي كانت بمثابة وصل بين الساحل والصحاري، وكانت الطرق التجارية التي تربط الربط بالمدن الساحلية الأخرى كطريق سوسة وقابس وطبرقة، وكذلك تعتبر همزة وصل بين الطرق الأخرى، ناهيك على أنها كانت ملجأ ومأوى للتجار والمسافرين.

وقد كانت موارد الرباط في افريقية تشمل المراشد الموظفة على المسافرين والتجار الذين يتزلون بالحصون[4]، وهذا الدور في الربط بين مختلف المناطق نلمحه في الدور المتزايد الذي أصبح لصاحب البريد في العصر الأغلبي كما نستشفة من خلال احتواء القصور على اسطبلات لإراحة الخيل، وتفيدنا نصوص من التراجم في هذا الدور فكم من مرة يقرر شخص ما التزول بربط من

(1) المالكي، ج1 المصدر السابق، ص522.

(2) نفسه، ص522.

(3) فوزي محفوظ، المرجع السابق، ص373.

(4) المالكي، ج1، المصدر السابق، ص523.

الرباط وتقضية مدة به[1]، وكان بإمكان المسافر الاستراحة في هذه الرباط، والتزود بالماء والغذاء وكذلك ممارسة التجارة، بحيث أن هؤلاء التجار كانوا يعهدون إلى المرابطين بأموالهم وبضائعهم، يحفظونها ويحرسونها وهو ما يعرف بالودائع[2]، من هذا يمكننا ان نقول كانت تمارس في الربط مهام البريد.

إلى جانب هذا من الدور الاقتصادي التجاري الذي كانت تسعى الربط والرباط إلى تقديم أحسن خدمة من أجل أن تكون منطقة تجارية ونلاحظ من خلال الهندسة لرباط سوسة أن غرف طابقه الأرضي تحتوي على غرف منعدمة الإضاءة ونفهم من هذا أنها كانت عبارة عن حجر أو مستودعات مخصصة لتخزين السلع والبضائع، وإلى جانب الإيواء للمسافرين من تجار وحجيج

كانت الربط أيضا تحتوي على أسواق مجاورة، وقد عرفت الربط والقصور أسواق مختلفة وفي زمن معين الدورية والأسبوعية وكانت هذه الأسواق تمارس بها التجارة وتتكون من سلع متنوعة ناهيك عن الاسواق المتخصصة التي كانت متواجدة في القيروان إلا ان الربط كانت لها أسواق تباع فيها السلع كالخضروات والمواشي أين يذكر لنا المالكي في كتابه رياض النفوس[3]، كانت هناك محلات لبيع لحوم الخروف، ومزاولة الرباط في نفس الوقت . وقد أصبح مثال المرابط الذي يتعاطى التجارة ويخزن البضاعة في غرفته ليبيعها في الوقت المناسب، وكانت القصور والربط مثل الخانقاهات المشرقية، معدة أيضا لرجال البريد وخيولهم[4].

(1) فوزي محفوظ، المرجع السابق، ص374.

(2) ناجي جلول، المرجع السابق، ص203.

(3) المالكي، المصدر السابق، ص333.

(4) ناجي جلول، المرجع السابق، ص203.

خلاصة الفصل:

إن وظيفة الرباطات كانت بالدرجة الأولى عسكرية جهادية، محاولة منها دفع الخطر على سكان المدن الساحلية والمنشآت المدنية، إضافة إلى ما ألحق بها من وظائف دينية، واجتماعية وتثقيفية، واقتصادية، وخضعت إلى إدارة محكمة وتنظيم مضبوط تحت إشراف ديوان الجند في عهد دولة الأغالبة، حيث عرفت عصرها الذهبي، وشكلت خطا دفاعيا متينا وجبهة بحرية تتثالى فيها القصور و الرباطات على مسافات متقاربة تتراءى فيها النيران من فوق الأبراج في حالة الخر من سبتة إلى الاسكندرية.

كما شاركت الربط بأفريقية في فتح جزيرة صقلية حيث اتخذ رباط سوسة قاعدة لأكبر عملية غزو بحرية قام بها المسلمون في صقلية، وهكذا ساهمت الربط في تدعيم المؤسسة العسكرية المغربية في الفترة الممتدة من الفتح الإسلامي لغاية سقوط دولة الأغالبة.

كما قد لعبت الربط الدور الهام في ممارسة التجارة في جميع مجالاتها وكانت عبارة عن مناطق تواصل وترابط بين الطرق التجارية الرابط بين الشرق والغرب، ويظهر ذلك من خلال السلع التي كانت تتداول بين التجار المرابطين والتجار المسافرين من اماكن عدة، وكانت عبارة عن مأوى للحجاج وعابري سبيل، كان كل شيء متوفر من مأكل ومشرب ومرقد، وهكذا واصلت الربط أدوارها الإيجابية في خدمة الإسلام وأهل الإسلام.

خاتمة

لعب الموقع الجغرافي لبلاد المغرب عبر مرور العصور دورا حضاريا هاما ويزخر بإمكانيات طبيعية وبشرية جعلته ضمن أطماع القوى التي كانت تحكم حوض البحر الأبيض المتوسط، بدءا من الرومان والقرطاجيين، و الوندال والبيزنطيين، وصولا بدخول المسلمين وفتحه لهم، كان يتكون أساسا من قبائل بربرية متوزعة على حدوده، التي تمتد من إقليم برقة شرقا، إلى شواطئ بحر الظلمات غربا (طنجة)، والبحر الأبيض المتوسط شمالا إلى حدود الصحراء الكبرى جنوبا، وحديثنا عنها في الطور الإسلامي مر بمجموعة من المراحل من سنة 21هـ إلى 50هـ عرفت بمرحلة الاستطلاع والاستكشاف، ومن سنة 50هـ إلى 96هـ عرفت بمرحلة الفتح الحقيقي، تلتها مرحلة عرفت بعصر الولاة التي امتدت من 96هـ حتى 184هـ أصبح فيها إقليم المغرب ولاية مستقلة عن ولاية مصر، ومن ثم ظهرت دويلات إقليمية مستقلة به عرفت بالدويلات المستقلة في المغرب الإسلامي وهي الدولة المدرارية الصفرية 140هـ، والدولة الرستمية الإباضية160هـ، والدولة الإدريسية العلوية172هـ، والدولة الأغلبية 184هـ.سقطت هاته الكيانات السياسية على يد الفاطميين أواخر القرن الثالث الهجري، وخلال القرن الرابع الهجري.

شهدت هذه الفترة (ق2هـ- ق4هـ) أخطار خارجية على الدولة الإسلامية في بلاد المغرب على السواحل، من طرف الإمبراطورية البيزنطية، رد عليها المسلمون بإنشاء حصون وثغور وقلاع لدحر محاولاتهم التي باءت بالفشل في الغالب، عرفت هذه المنشآت عند المسلمين بالثغور أو الربط.

ومما سبق نستنتج أن الرباط هو ذلك المكان المحصن، الذي يقيم فيه المسلمون داخل المدن لرصد حركة العدو، وإنذار القوات الإسلامية بتحركاته، هذا من الناحية العسكرية، وكما استنتجت من خلال الدراسة أن انتعاش التحصينات و الربطات الساحلية ببلاد المغرب الإسلامي، وبإفريقية خاصة، كان بسبب شدة الخطر الرومي، خلال القرنين الثاني والثالث الهجريين/ الثامن والتاسع الميلاديين، وهي الفترة التي عرفت بالعصر الذهبي للأربطة، وكذلك تميزت بأحادية النشاط وهيمنة الوظيفة العسكرية، ومع الاستقرار لأحوال المغرب الاسلامي تحولت إلى المهمة الدينية الروحية، لتواصل نشر الدعوة المحمدية للدين الإسلامي، وتواصلت الأربطة بما أنها مؤسسة رسمية تشرف عليها الدولة في ظل الفاطميين.

اضافة إلى الدور العسكري والديني كانت الوظائف الاقتصادية من بين الأدوار التي ساعدت بها الأربطة بلاد المغرب الإسلامي صناعيا تجاريا، بحيث تنوعت المحاصيل الزراعية بكل أنواعها خضروات وفاكهة والشعير والقمح وتربية المواشي وبيعها لحوما وحية. وإضافة إلى ذلك كان المرابطون مهتمون بهذا النشاط كثيرا، كذلك تبين لي أن للأربطة أسواق مجاورة للبيع والشراء لمزاولة التجارة وكل هذا من أجل الانتعاش والاعتماد على المنتوج الذاتي وكانت حتى تصدرها خارج بلاد المغرب الإسلامي إلى الإسكندرية وصقلية والأندلس.

وبذلك ظل هذا الصرح الإسلامي أحد رموز الدولة الإسلامية العسكرية والدينية، ومع مرور الزمن أصبحت الأربطة ترمز إلى التصوف والمتصوفة باحتضانها الطريقة الصوفية بعلمائها ومنها من تحولت إلى زوايا .

الملاحق

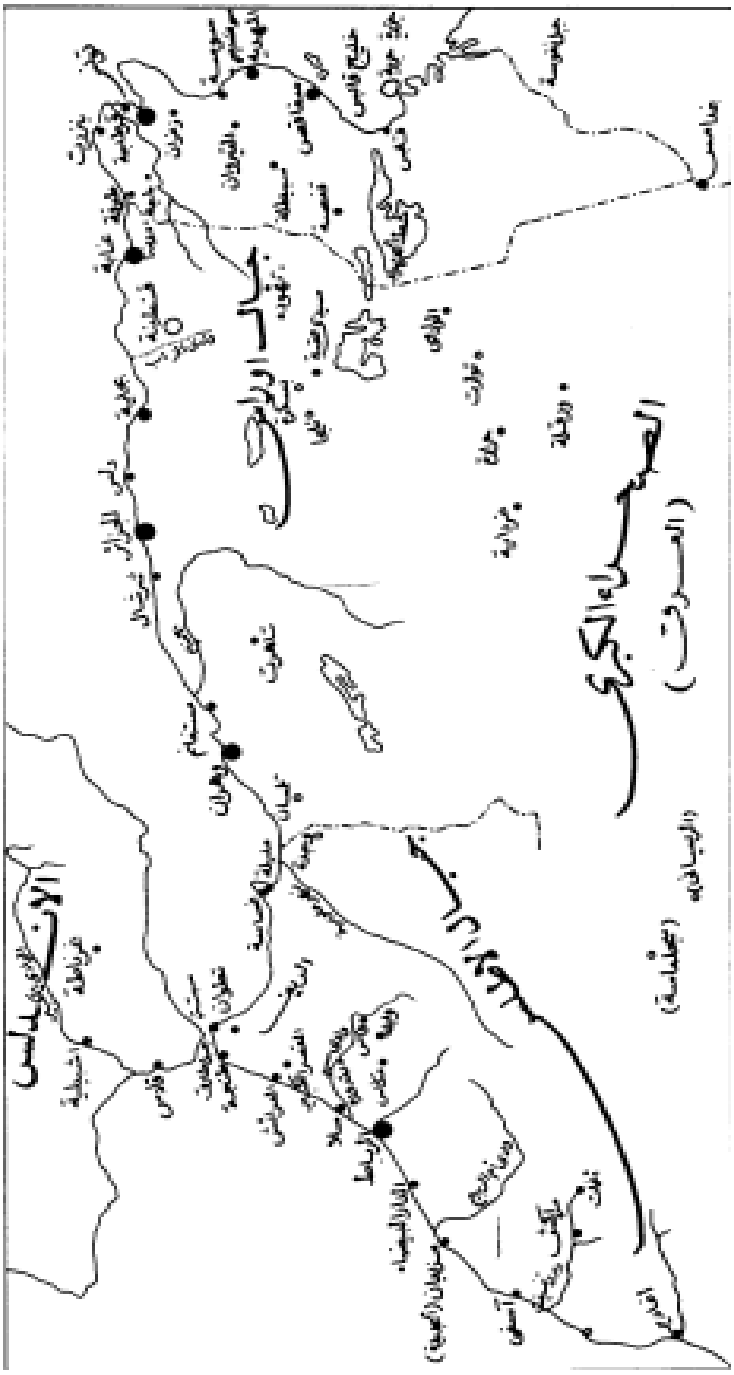

ملحق رقم (01): خريطة بلاد المغرب من أقصى الغرب إلى أقصى الشرق.

أنظر: عبد السلام المانيبي، الأحداث التاريخية بترتيب السنين، ج1، مج1، ط2، دار طلاس، 1988م، ص1601.

ش

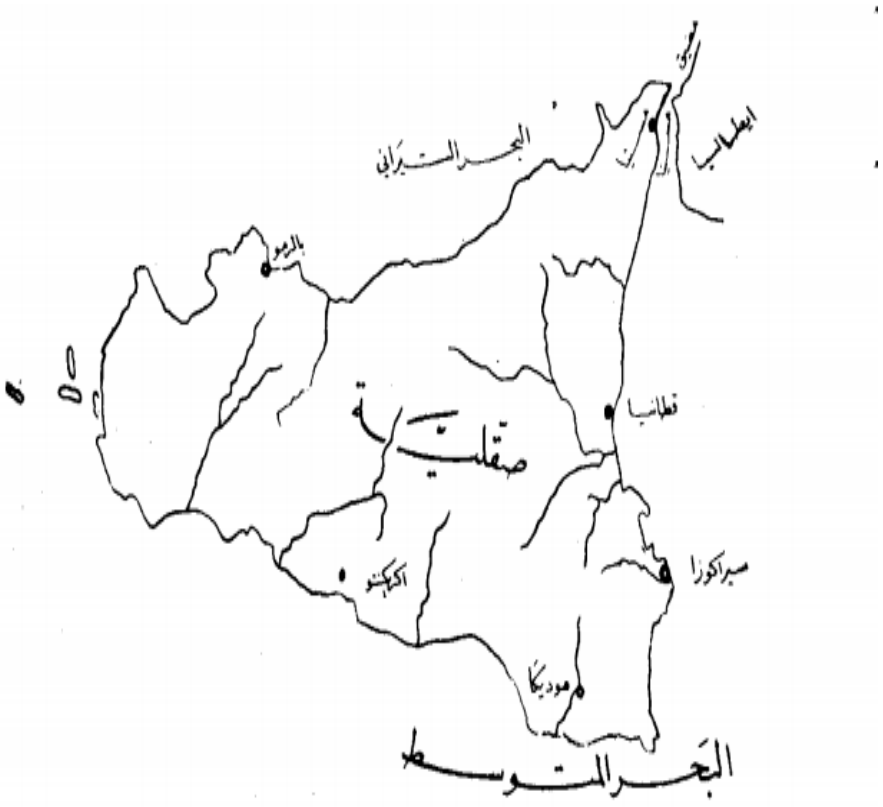

مصور جزيرة صقلية

ملحق رقم (02): خريطة جزيرة صقلية

أنظر: شوقي أبو خليل، **فتح صقلية**، ط1، دار الفكر، دمشق، 1998م، ص85.

ملحق رقم (03): رباط هرثمة – واجهة ومقطع (أ) و (ب).

أنظر: ناجي جلول، المرجع السابق، قائمة الملاحق الشكل46.

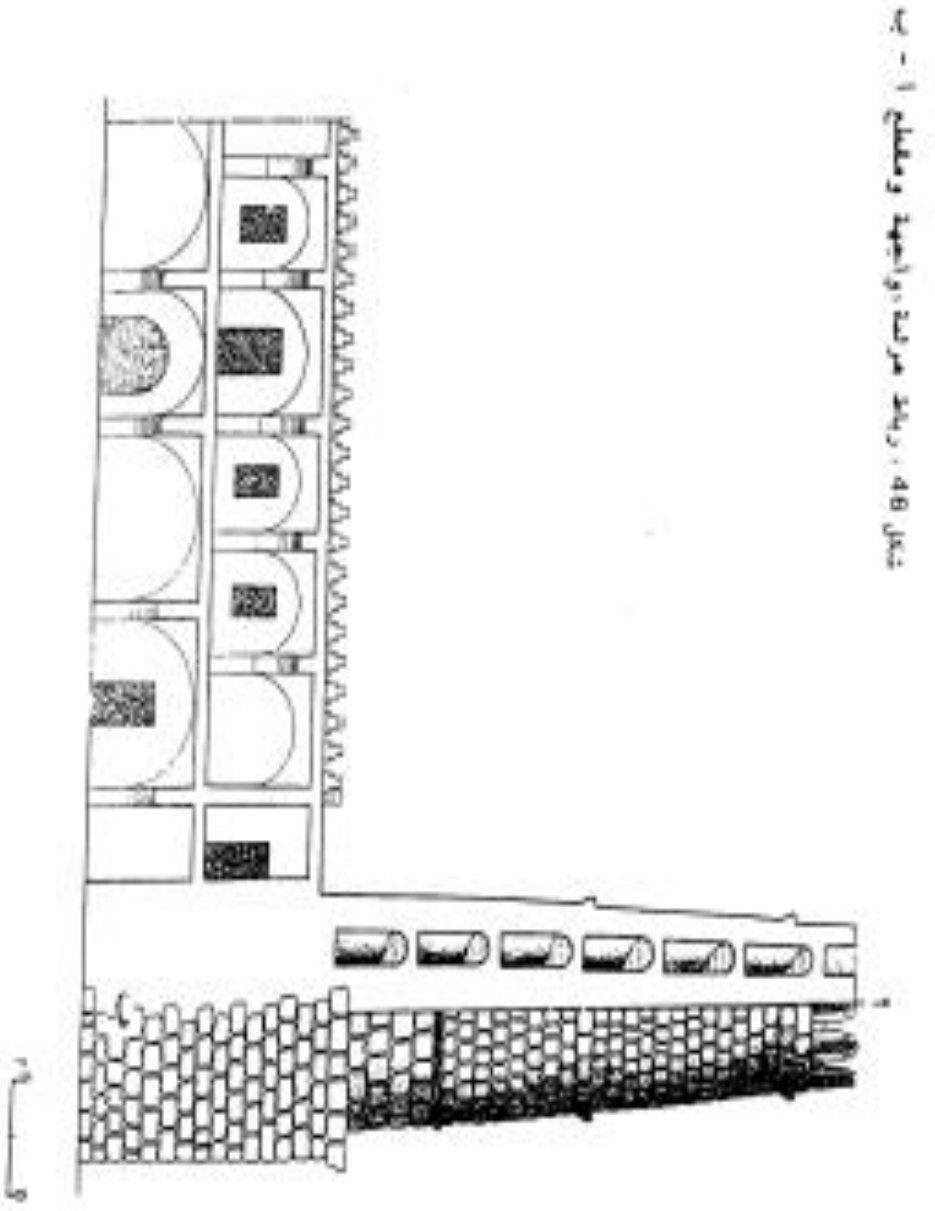

ملحق رقم (04): رباط هرثمة –مخطط الطابق الأول.

أنظر: ناجي جلول، المرجع السابق، قائمة الملاحق الشكل47.

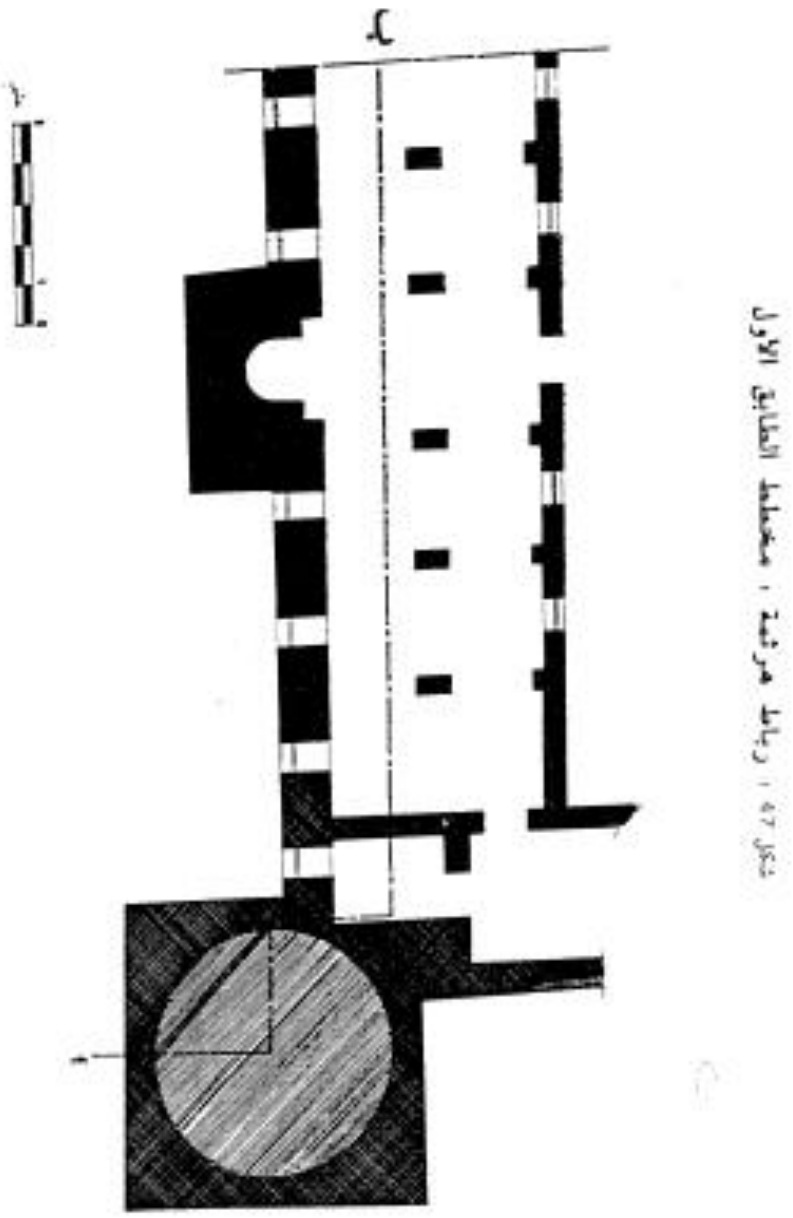

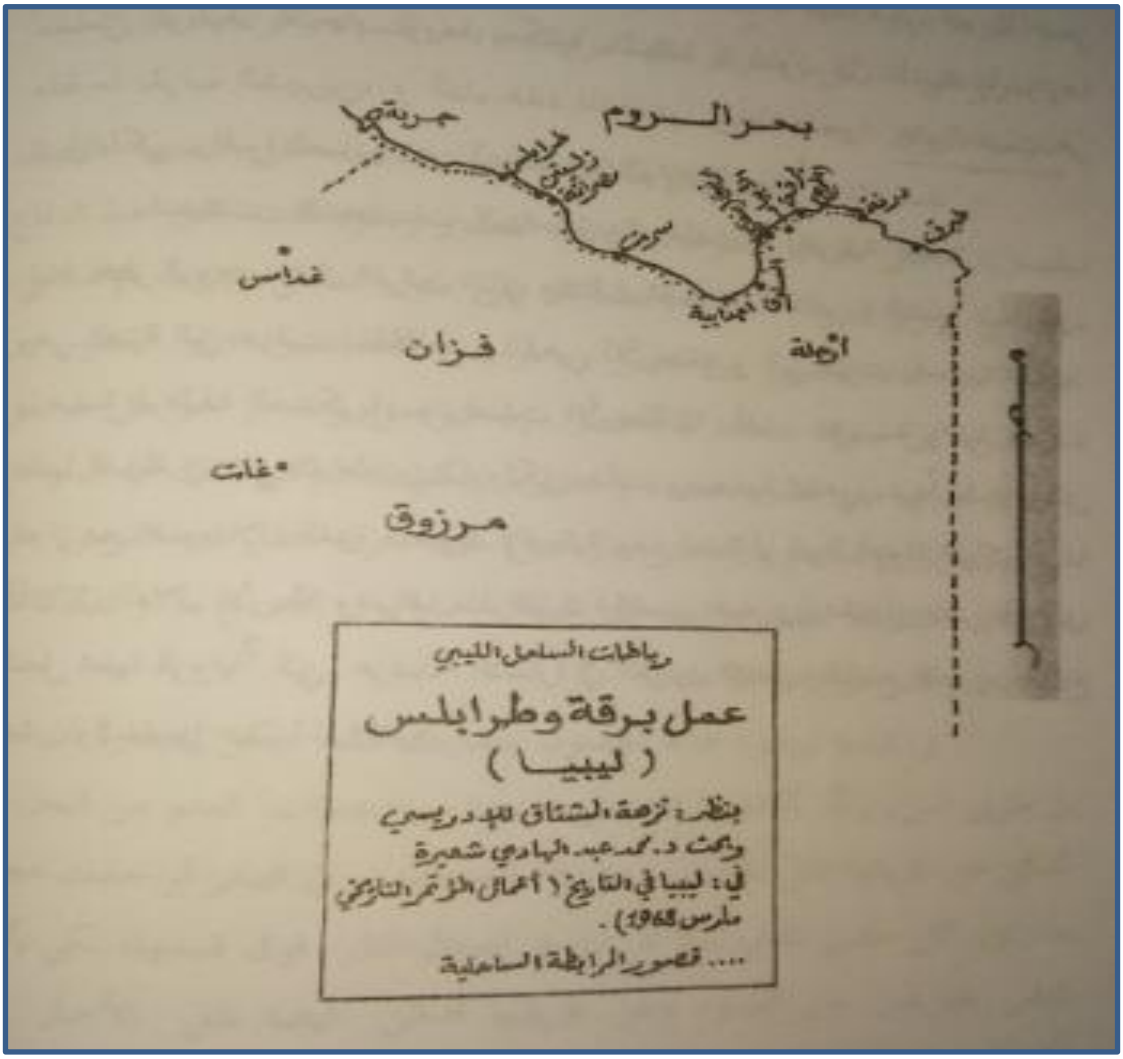

ملحق رقم (05): خريطة رباطات الساحل الليبي

أنظر: لحسن تاوشيخت، التحصينات الدفاعية أول الربط في عهد المرابطين، العدد5، ج2، جامعة الجزائر2، 2014م، ص96.

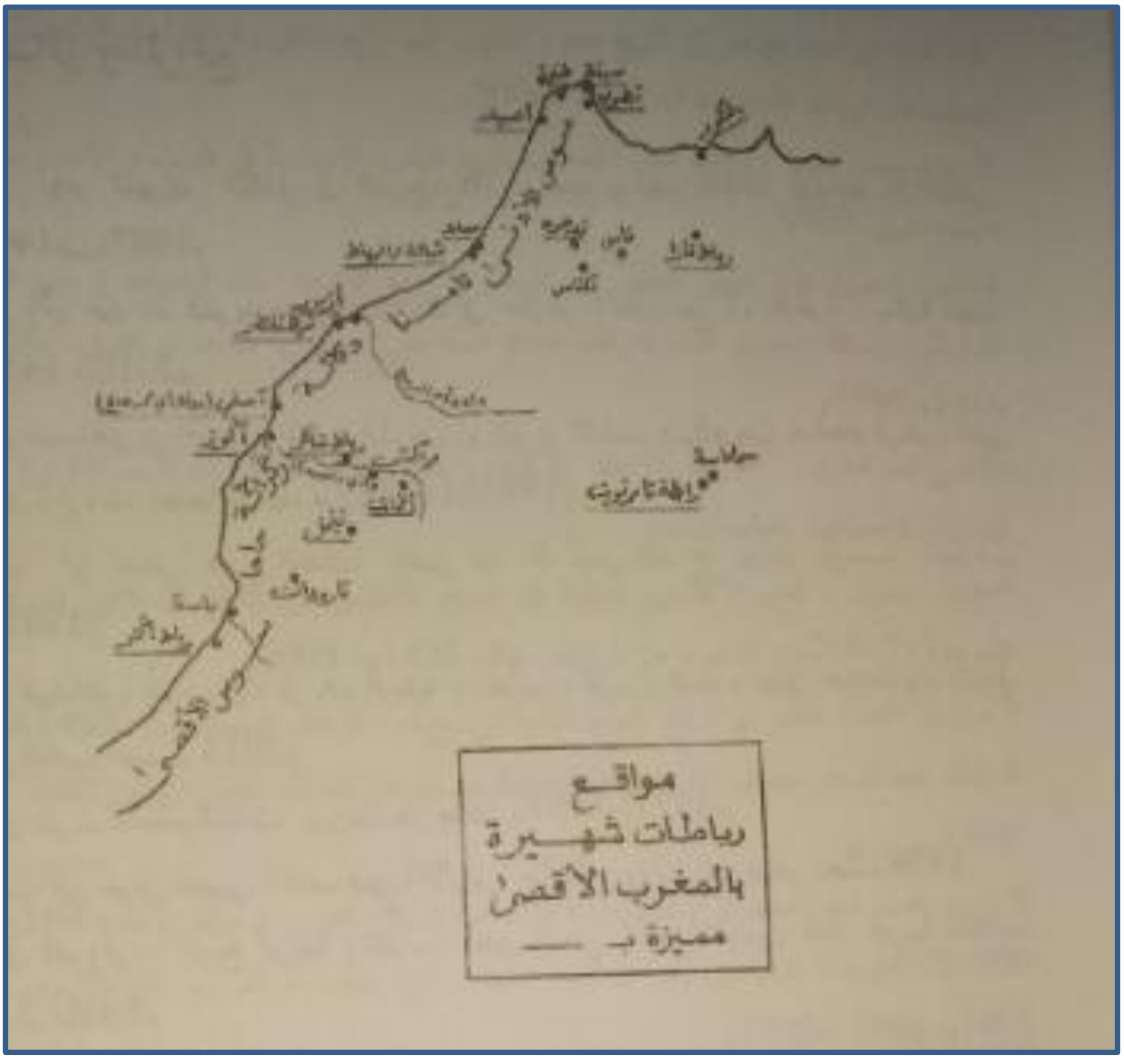

ملحق رقم (06): خريطة مواقع رباطات المغرب الأقصى

أنظر: لحسن تاوشيخت، المرجع السابق، ص98.

ملحق رقم (07): خريطة مواقع الرباطات بالمغرب الأوسط.

أنظر: لحسن تاوشيخت ، المرجع السابق، ص99.

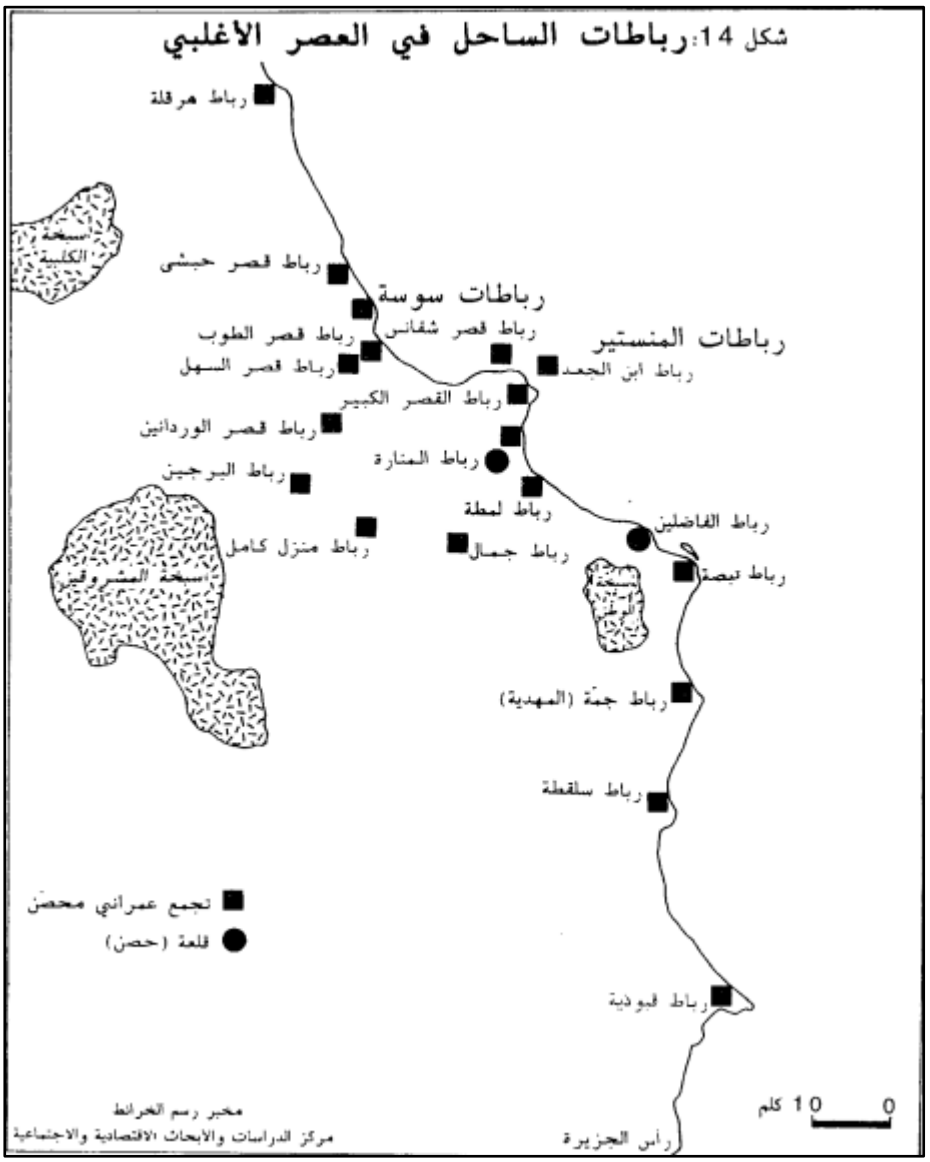

ملحق رقم (08): رباطات الساحل في العصر الأغلبي

أنظر: ناجي جلول، المرجع السابق، قائمة الملاحق الشكل14.

ملحق رقم (09): خريطة مواقع رباطات بافريقية

أنظر: لحسن تاوشيخت ، المرجع السابق، ص97.

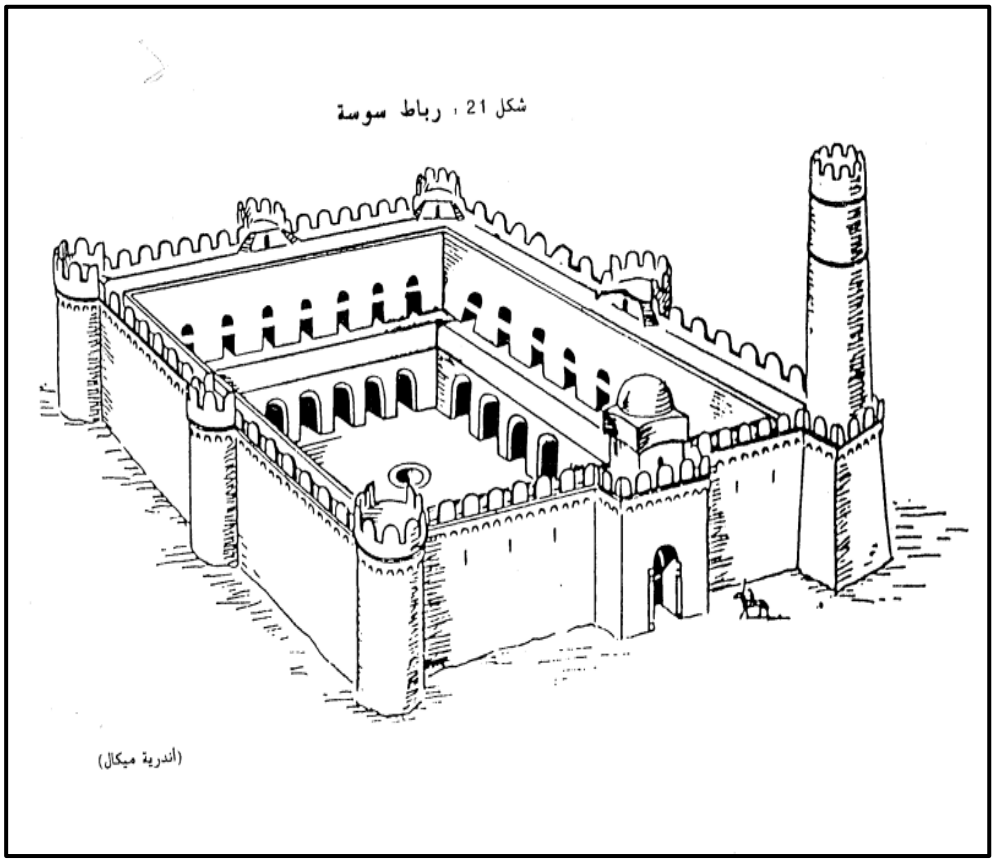

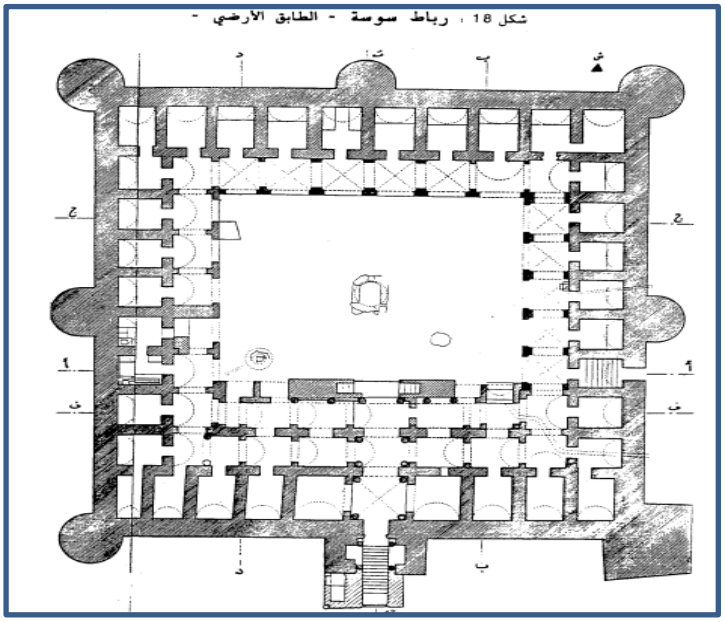

ملحق رقم (10): رباط سوسة.

أنظر: ناجي جلول، المرجع السابق، قائمة الملاحق الشكل -18-21.

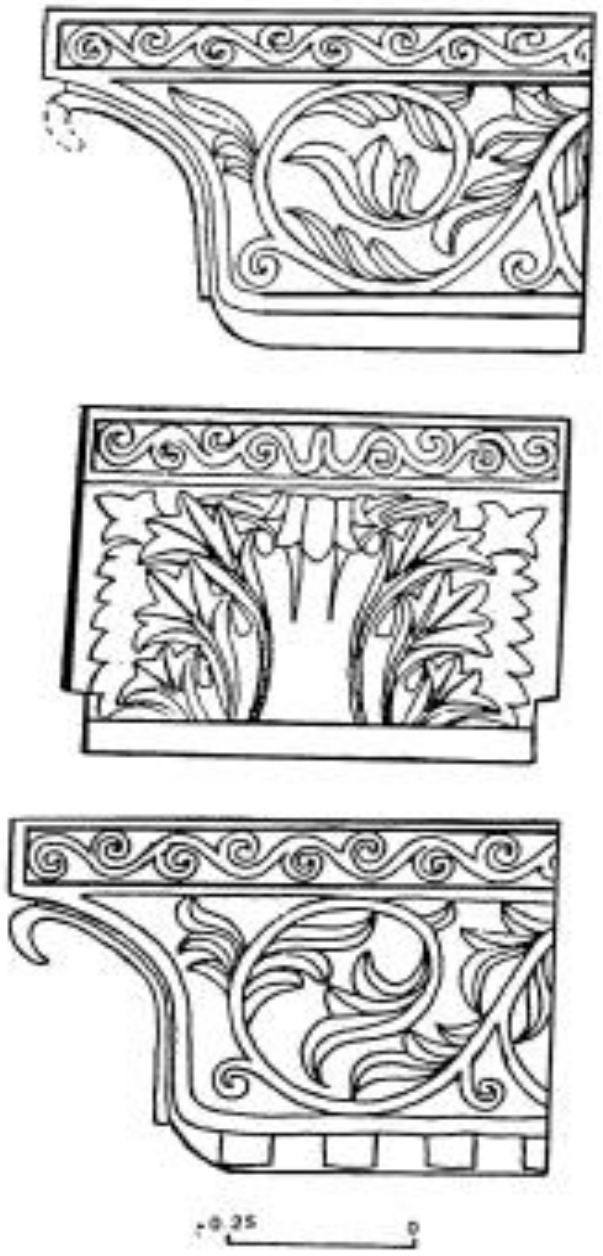

ملحق رقم (11): زخرفة بيزنطية لرباط سوسة

أنظر: ناجي جلول، المرجع السابق، قائمة الملاحق الشكل33.

شكل 22 : رباط سوسة - الواجهة الجنوبية -

ملحق رقم (12): رباط سوسة الواجهة الجنوبية.

أنظر: ناجي جلول، المرجع السابق، قائمة الملاحق الشكل23- الشكل24.

ملحق رقم (13): رباط سوسة المقطع (أ) و (ب)

أنظر: ناجي جلول، المرجع السابق، قائمة الملاحق الشكل23- الشكل24.

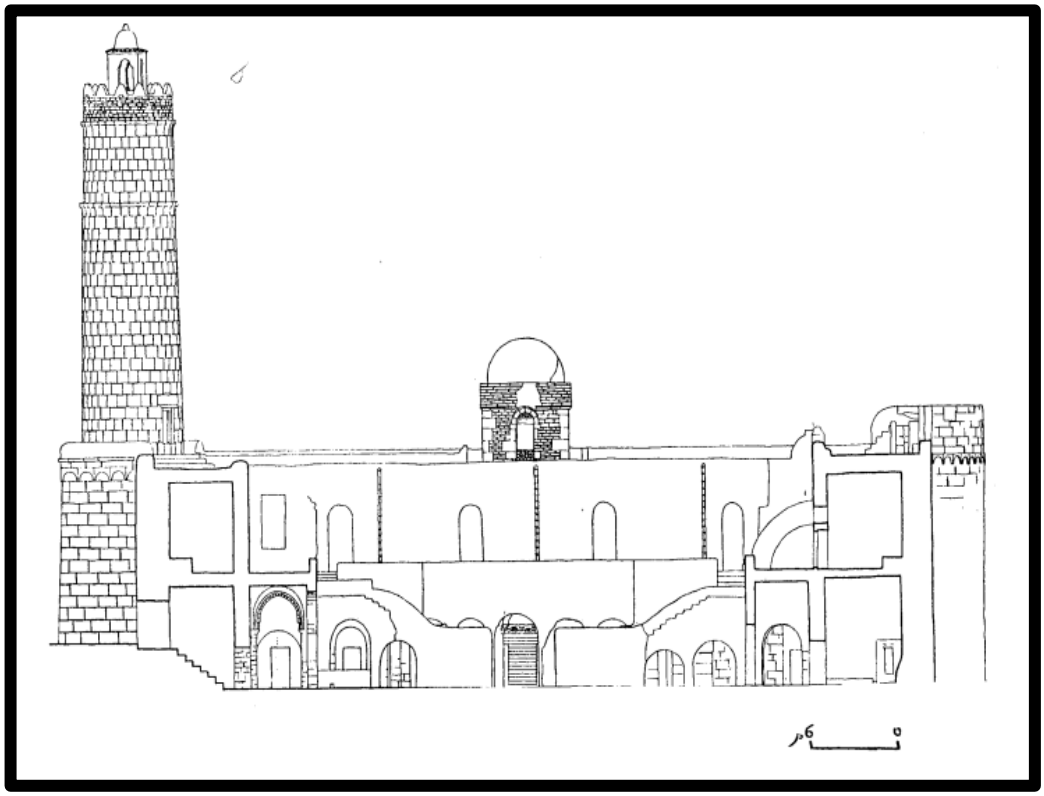

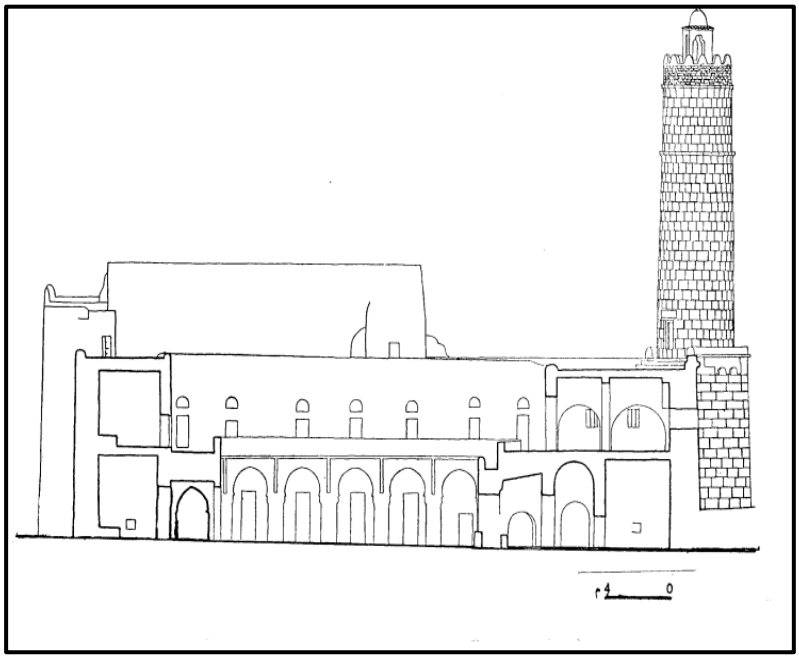

ش

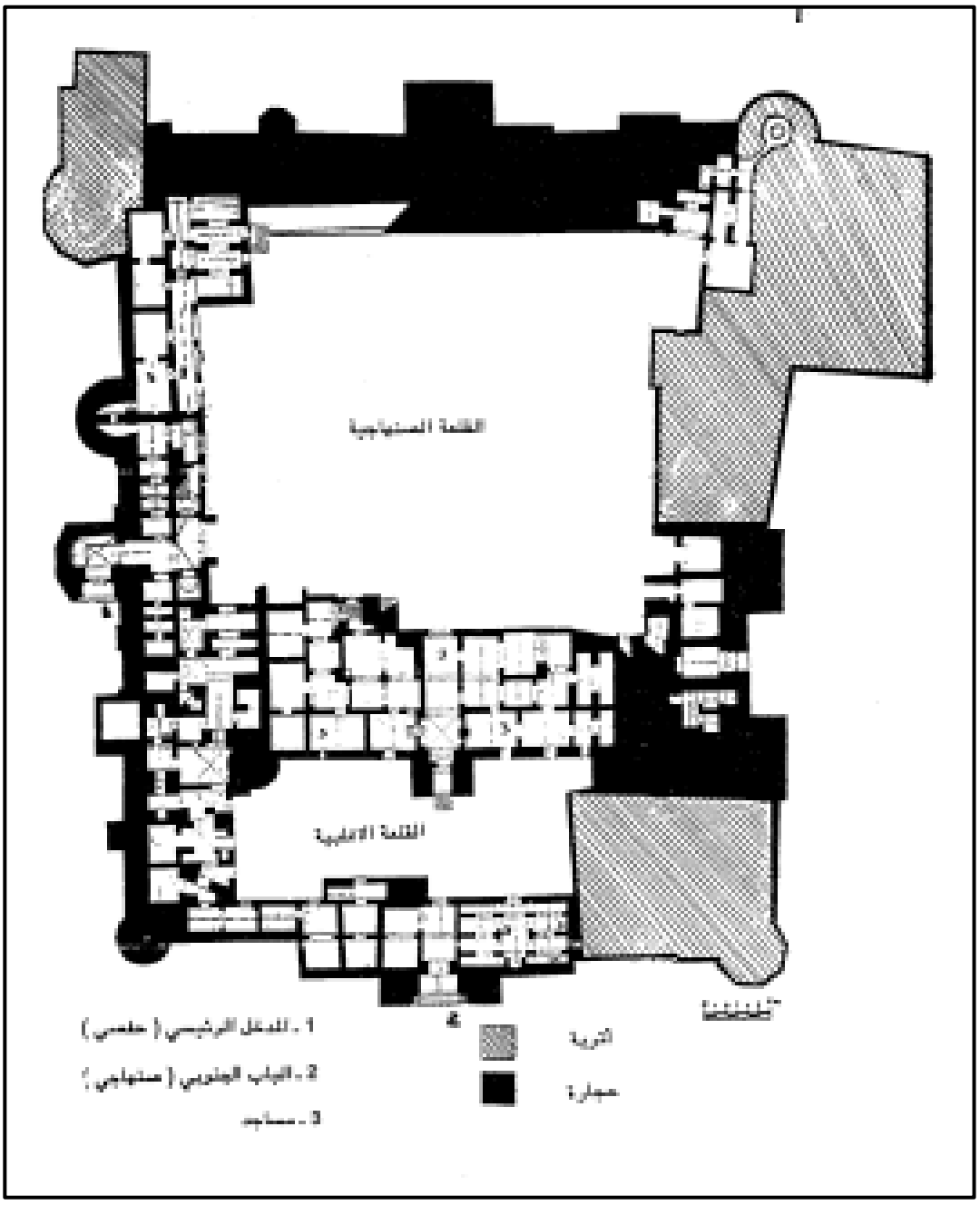

ملحق رقم (14): قصبة المنستير (الطابق الأرضي).

أنظر: ناجي جلول، المرجع السابق، قائمة الملاحق الشكل 37.

ش

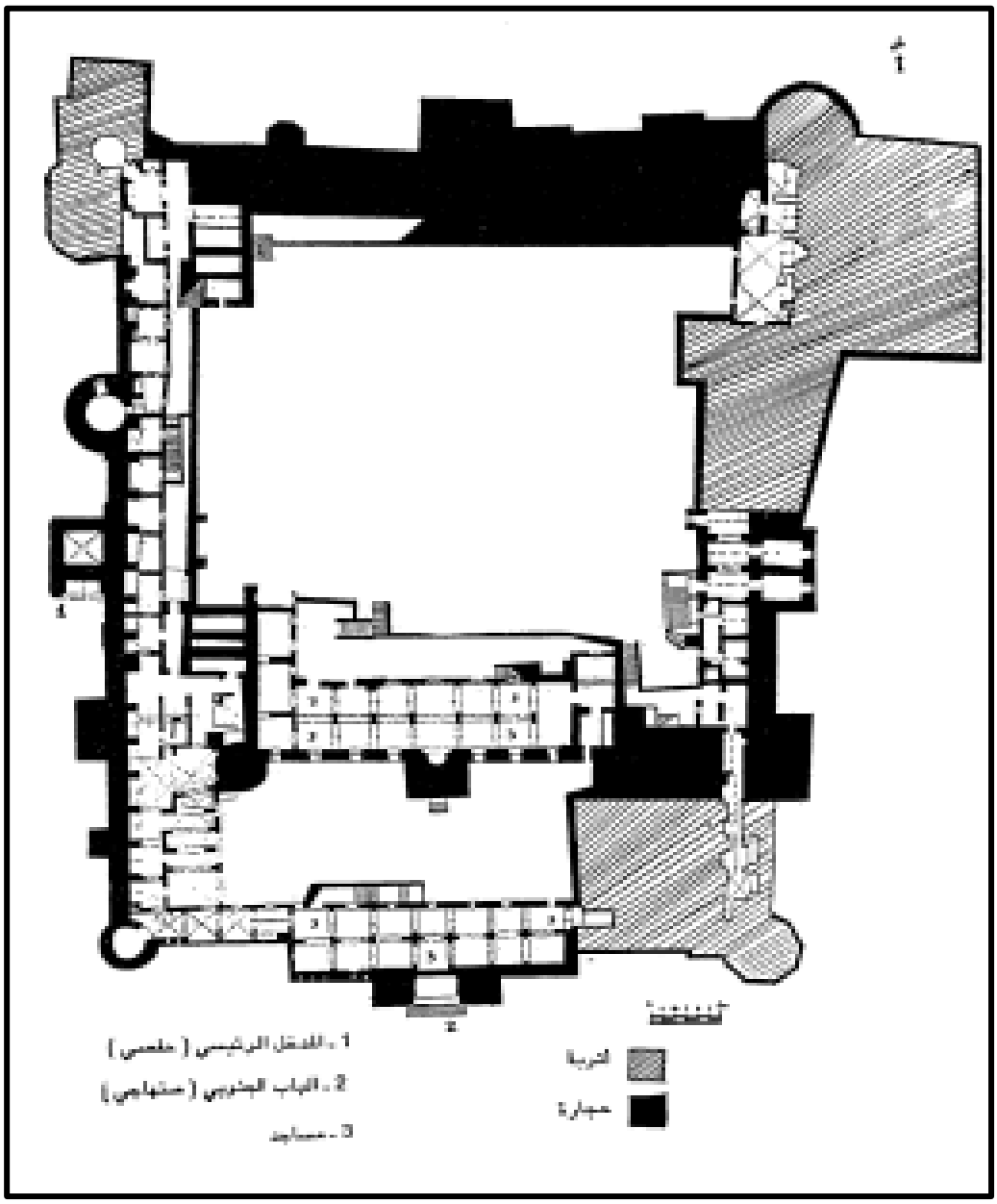

ملحق رقم (15): قصبة المنستير (الطابق الأول).

أنظر: ناجي جلول، المرجع السابق، قائمة الملاحق الشكل 38.

ملحق رقم (16): قصبة المنستير (تطور المعلم).

أنظر: ناجي جلول، المرجع السابق، قائمة الملاح الشكل51.

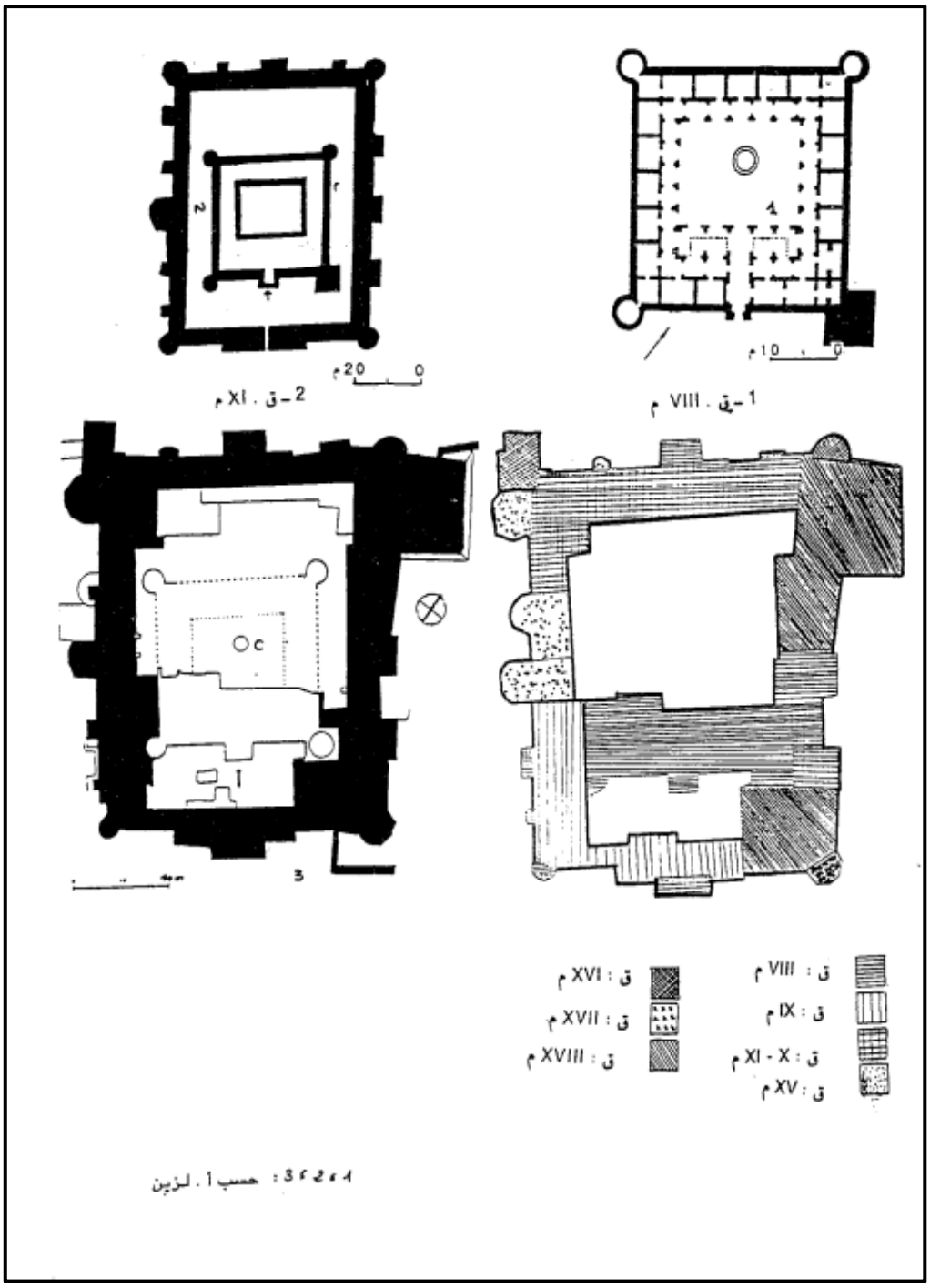

ملحق رقم (17): مدينة المنستير (النواة الأولية)

أنظر: ناجي جلول، المرجع السابق، قائمة الملاحق الشكل35.

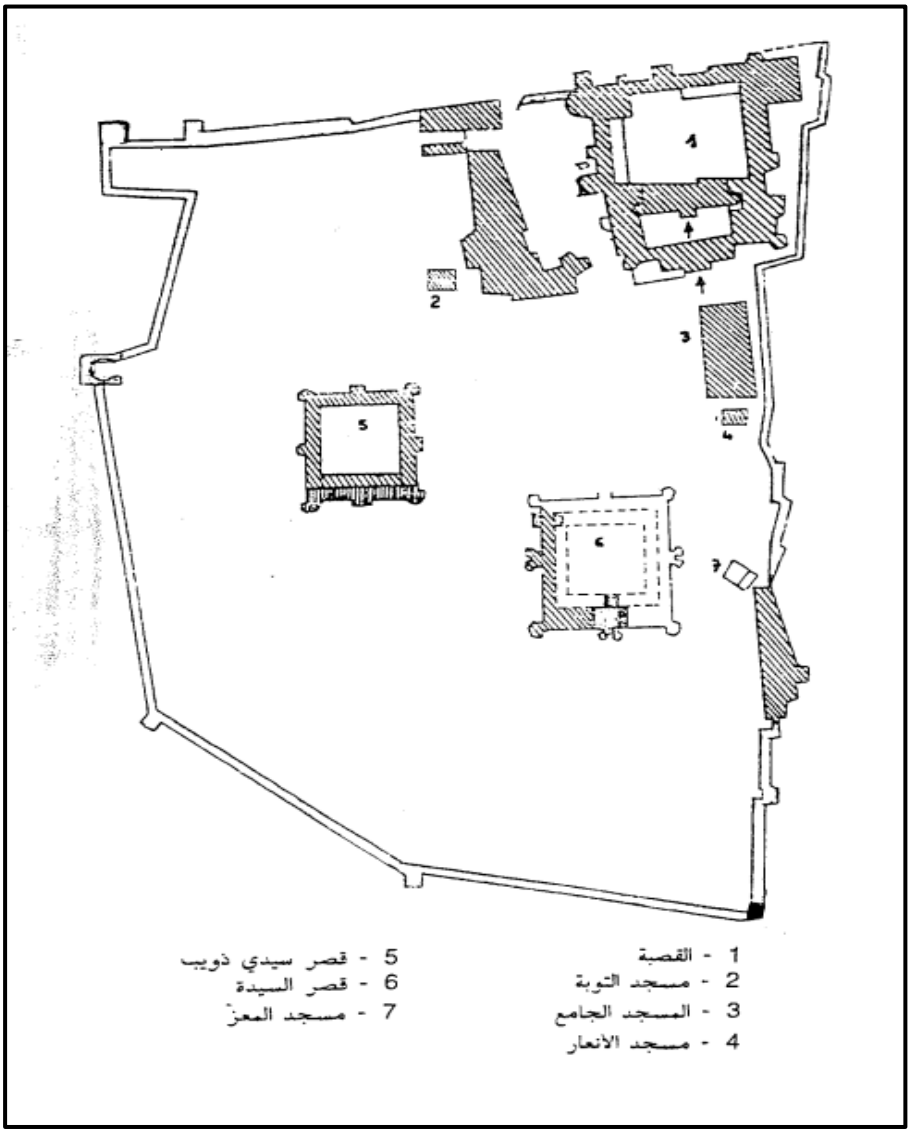

البيبليوغرافيا

القرآن الكريم

المصادر العربية

1. ابن الأثير: (علي بن أحمد بن أبي الكرم ،**الكامل في التاريخ**، ج5،را محمد يوسف الدقاق، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، 1987م

2. أحمد تيمور، **القاموس المحيط**، ط1، المطبعة السلفية، القاهرة، 1343هـ.

3. الإدريسي: (أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد العزيز ، **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**، مج1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2010م.

4. البادسي (عبد الحق بن اسماعيل)، **المقصد الشريف والمترع اللطيف في التعريف بصلحاء الريف**، تح سعيد اعراب، ط2، المطبعة الملكية، الرباط، 1993م.

5. البرزلي: (أبو القاسم بن أحمد البلوي)، **جامع مسائل الأحكام لما نزل من القضايا بالمفتين والحكام**، تح محمد الحبيب الهيلة، ج2، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2002م.

6. البلاذري: (أحمد بن يحي بن جابر بن داود ، **فتوح البلدان**، تح عبدالله أنيس الطباع وعمر انيس الطباع، مؤسسة المعارف، بيروت، 1407هـ.

7. التجاني: (أبو محمد عبد الله بن محمد بن أحمد)، **رحلة التجاني**، تح حسن حسني عبد الوهاب، الدر العربية للكتاب، ليبيا، تونس 1981م.

8. ابن حوقل: (أبو القاسم أحمد النصيبي) **صورة الأرض**، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1992م.

9. ابن خرداذبة: (أبو القاسم عبد الله بن عبد الله، **المسالك والممالك، نبذة من كتاب الخراج وصنعه الكتابة**، د ط، مطبعة ليدن المحروسة، 1889م.

10. ابن خلدون (عبد الرحمان)، **ديوان المبتدأ والخبر**،ج6 ، مر سهيل زكار، دار الفكر، بيروت ،لبنان، 2000م.

11. الدباغ: (أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الأنصاري)، والتنوخي، **معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان**،ج1، تح إبراهيم شبوح، القاهرة، مكتبة الخا نجي.

12. الرقيق القيرواني: (أبو إسحاق ابراهيم بن القاسم الرقيق، **تاريخ إفريقية والمغرب**، ط1، تح عبد الله العلي زيدان وعز الدين عمر موسى، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1990م.

13. الرقيق القيرواني، **تاريخ إفريقية والمغرب**، ط1، تح محمد زينهم محمد عزب، دار الفرجاني، 1994م.

14. رينهارت دوزي، **تكملة المعاجم العربية**، تر محمد سليم النعمي، ج5، دار الرشيد للنشر، العراق، 1980م.

15. ابن ابي زرع: (أبو الحسن علي بن عبد الله) **الانيس المطرب بروض القرطاس**، دار المنصور للطباعة، الرباط، 1972م.

16. السلاوي (أحمد بن خالد الناصري): **الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى**، ج1، تح جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء،1997م.

17. الشريف الادريسي (أبو عبدالله محمد بن محمد الإدريسي): **المغرب وارض السودان ومصر والاندلس مأخوذ من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الافاق**، طبع مدينة ليدن المحروسة، 1863م.

18. ابن عبد الحكم: (أبو القاسم عبد الرحمن بن عبيد الله)**فتوح مصر والمغرب**، ج1، تح عبد المنعم عامر، دار الذخائر، د ت.

19. ابن عبد الحكم: **فتوح افريقية والأندلس**، تح عبد الله أنس الطباع، مكتبة المرسة ،دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر، بيروت، 1964م.

20. ابو عبيد البكري (عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري الأندلسي) : **المسالك والممالك**، تح أدريان فان ليوفن وأندري فيري، ج2، الدار العربية للكتاب والمؤسسة الوطنية للترجمة والتحقيق والدراسات: بيت الحكمة، تونس، ودار الغرب الإسلامي، بيروت، 1992م.

21. ابو عبيد البكري: **المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب وهو جزء من المسالك والممالك**، د ت، د ط، دار الكتاب الاسلامي، القاهرة.

22. ابن عذارى (أبو العباس أحمد المراكشي): **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**، تح ومرا ج-س كولان وليفي بروفنسال، ج1،ط3، ،دار الثقافة، بيروت، لبنان، 1983م.

23. ابو العرب (محمد بن أحمد بن تميم): **طبقات علماء إفريقية**،ج1، دار الكتاب اللبناني.

24. عياض (بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي): **الشفا بتعريف حقوق المصطفى**، تح علي محمد البجاوي، ج1، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، 1984م.

25. عياض، **ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك**، تح عبد القادر صحراوي، ج4، ط2، المملكة المغربية،1983م.

26. القلقشندي (شهاب الدين ابي العباس أحمد بن علي): **صبح الأعشى في صناعة الإنشاء**،ج5، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1915م.

27. القلقشندي، **نهاية الأرب في معرفة قبائل العرب**، تح ابراهيم الأبياري،ط2، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1980م.

28. الكتاني: (يوسف)، **مدرسة الإمام البخاري في المغرب**، ج2، دار لسان العرب، بيروت.

29. المالكي (أبو بكر عبد الله بن محمد)، **رياض النفوس**، تح بشير البكوش والعروسي المطوي، ج1، دار الغرب الإسلامي، 1983م.

30. محمد بن الحسن الشيباني، **شرح كتاب السير الكبير**، تد عبد العزيز أحمد، د ت، د ط.

31. مخلوف: (محمد بن محمد)، **شجرة النور الزكية في الطبقات المالكية**، تح عبد المجيد خيالي، ج2، ط1، دار الكتب العليمة، بيروت، لبنان،2003م.

32. المراكشي، **الاستبصار في عجائب الامصار**، سعد زغلول عبد الحميد، د ط، دار النشر المغربية، دار البيضاء، 1985م.

33. المستغفري: (حافظ أبي العباس جعفر بن محمد) ، **فضائل القرآن**، تح أحمد بن فارس السلوم، مج 1، ط1، دار ابن الحزم، بيروت، لبنان، 2006م.

34. المسعودي: (أبو الحسن علي بن الحسين)، **مروج الذهب ومعادن الجوهر**، ج2،المطبعة البهية، مصر 1346هـ.

35. المقديش (محمود)، **نزهة الأنظار في عجائب تواريخ والأخبار**، تح علي الزاوي ومحمد محفوظ، مج1،ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت،1988م.

36. مؤلف مجهول، **أخبار مجموعة في فتح الأندلس**، تح ابراهيم الأبياري، ط1، دار الكتاب المصري، القاهرة، 1981م.

37. النويري: (شهاب الدين بن عبد الوهاب)، **نهاية الأرب في فنون الأدب**، تح عبد المجيد ترحيني، ج24، دار الكتاب العلمية، بيروت، لبنان، د ت.

38. النيسابوري (الإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري): **صحيح مسلم**، ج6، ط1، دار الخلافة العلمية، 1322هـ.

39. الوزان الفاسي (الحسن بن محمد الوزان الفاسي): **وصف افريقيا**،ج2، تر محمد حجي، محمد الاخضر، دار الغرب الإسلامي ط2، بيروت،1983.

40. الونشريسي (أبي العباس أحمد بن يحي): **المعيار المعرب**، تح محمد حجي،ج6، د ط، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1981م.

41. ياقوت الحموي: **المشترك وضعا والمفترق صقعا**، ط2، دار عالم الكتب، بيروت، 1986م.

42. ياقوت الحموي: **معجم البلدان، مادة افريقية**، مج1، دار صادر، بيروت، 1977م.

43. ياقوت الحموي: **معجم البلدان**، مج5، مادة مصر، دار صادر، بيروت،،1977م.

44. اليعقوبي: (أحمد بن إسحاق (أبي يعقوب) بن جعفر بن وهب بن واضح اليعقوبي ت 292هـ) ، **البلدان**، تح محمد أمين ضناوي، د ط، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د ت.

المعاجم:

1. ابن منظور: (جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري)، **لسان العرب**، مج7، دار صادر، بيروت، د ت.

المراجع:

1. العابدي ابراهيم الثوزري: **تاريخ التربية بتونس**، ج1، الشركة التونسية للتوزيع.

2. حركات ابراهيم: **مدخل إلى تاريخ العلوم بالمغرب المسلم حتى القرن 9هـ/15 م**، ج3، ط1، التصوف، دار الرشاد الحديثة، 2000م.

3. كونل ارنست: **الفن الإسلامي**، تر أحمد موسى، د ط، دار صادر، بيروت، لبنان، د ت.

4. سامعي اسماعيل: **قضايا تاريخية في تاريخ المغرب الإسلامي**، ديوان المطبوعات الجامعية، 2012م.

5. التليسي بشير رمضان: **الاتجاهات في بلاد الغرب الإسلامي**، ط1، دار المدار الإسلامي، بيروت.

6. حسن أحمد محمود وأحمد الشريف: **العالم الإسلامي في العصر العباسي**، ط5، دار الفكر العربي، القاهرة، د ت.

7. مؤنس حسين : **فتح العرب للمغرب**، مكتبة الثقافة الدينية، د ت، د ط.

8. مؤنس حسين : **معالم تاريخ المغرب والأندلس**، ط2، دار الرشاد، القاهرة،1997م.

9. زبيس سليمان مصطفى: **المنستير ماضيها ومعالمها التاريخية**، الدار التونسية للنشر، د ت.

10. سعد زغلول عبد المجيد: **تاريخ المغرب العربي**، ج2، د ط، دار المعارف.

11. سالم عبد العزيز : **تاريخ المغرب في العصر الاسلامي**، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية.

12. شوقي أبو خليل: **فتح صقلية**، ط1، دار الفكر، دمشق، 1998م.

13. عاصم محمد رزق: **معجم مصطلحات العمارة والفنون الإسلامية**، ط1،مكتبة مدبولي، 2000م.

14. المانيني عبد السلام: **الأحداث التاريخية بترتيب السنين**، ج1، مج1، ط2، دار طلاس، 1988م.

15. الثعالبي عبد العزيز : **تاريخ شمال إفريقيا من الفتح الإسلامي إلى نهاية الدولة الأغلبية**، تح أحمد بن ميلاد ومحمد ادريس: ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1987م.

16. سالم عبد العزيز و العبادي أحمد مختار: **تاريخ البحرية الإسلامية في المغرب والأندلس** ، دارالنهضة العربي، بيروت،1969م.

17. سالم عبد العزيز: **تاريخ المسلمين آثارهم في الاندلس**، دار المعارف، لبنان.

18. سالم عبد العزيز : **تاريخ المغرب الكبير**، ج2، دار النهضة العربية، بيروت، 1981م.

19. شبلي عبد الكريم : **الأربطة والمرابط بإفريقية من خلال النوازل المالكية(ق8 هـ/10 م)**، كليه العلوم الاسلامية والاجتماعية، جامعة تونس.

20. النجار عبد المجيد : **المهدي بن تومرت**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983م.

21. ذنون طه عبد الواحد : **دراسات في تاريخ وحضارة المغرب الإسلامي**، دار المدار الإسلامي، ليبيا، 2004م.

22. حسن حسني عبد الوهاب : **ورقات عن الحضارة العربية بإفريقية التونسية**، ج2 ، مكتبة المنار، تونس، 1966م.

23. شهبي عبد العزيز : **تاريخ المغرب الإسلامي**، ط1، مؤسسة كنوز الحكمة، الجزائر، 2013م

24. العدوي ابراهيم أحمد: **الأمويين والبيزنطيون، البحر الأبيض المتوسط بخيرة إسلامية**، ط1، دار رياض الصالحين، الفيوم، 1994م.

25. محفوظ فوزي : **عمارة الخلفاء**،ط1، المنشورات الجامعية، منوبة، 2013م.

26. عبد الستار محمد عثمان: **المدينة الإسلامية** ، د ط، عالم المعرفة، 1988م.

27. الشرقاوي محمد عبد المنعم و الصياد محمد محمود : **ملامح المغرب العربي**، الإسكندرية، 1959م.

28. عاصم محمد رزق: **خانقاوات الصوفية في مصر**، ج1، مكتبة مدبولي، القاهرة.

29. الحريري محمد عيسى: **الدولة الرستمية بالمغرب الإسلامي**، ط3، دار القلم ، الكويت،1987م.

30. اسماعيل محمود : **الأغالبة سياستهم الخارجية**، ط3، الدراسات والبحوث الإنسانية والإجتماعية،2000م.

31. شيت خطاب محمود : **قادة الفتح الإسلامي**،ج1، دار الفكر.

32. ناجي جلول: **الرباطات البحرية بإفريقية في العصر الوسيط**، مركز الدراسات والبحوث، تونس، 1999م.

الرسائل الجامعية:

1. علي عشي: **المغرب الأوسط في عصر الموحدين، دراسة تحليلية للأوضاع الثقافية والفكرية (534هـ/1139م إلى 633هـ/1235م)**، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الوسيط، إشراف مسعود مزهودي، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2011-2012م.

2. فوزية محمد عبد الحميد نوح: **البحرية الإسلامية في بلاد المغرب في عهد الأغالبة،(184-296هـ/800-900م)**، رسالة ماجستير، اشراف أحمد دراج، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، (1404-1405هـ/1984-1985م).

3. محمد بلغيث: **الربط بالمغرب الإسلامي ودورها في عصري المرابطين والموحدين**، رسالة ماجستير في التاريخ الإسلامي، إشراف عبد الحميد حاجيات، جامعة الجزائر، 1986/1987م.

4. سمير عبد المنعم خضري غنيم: **الأربطة الباقية بالقاهرة من العصر المملوكي (648-923هـ/1250-1517م)**، لنيل درجة الماجستير في الآثار الإسلامية، اشراف محمد مصطفى محمد نجيب، كلية الآثار، جامعة القاهرة، **1998**م.

المراجع الأجنبية:

1. Rammah (Mourad). « Les Villes ribat » in : Ifriqiya : Treize siècles d'art et d'architecture en Tunisie, musèe sans frontières, Editions :Déméter-Edisud, Aix-en prouvence.

المجلات:

1. لحسن تاوشيخت: **التحصينات الدفاعية أو الربط في عهد المرابطن**، مجلة الدراسات التراثية، العدد5، ج2، جامعة الجزائر2، 2014م.

2. اكرام شقرون: **المنستير رائدة الرباطات في العصر الوسيط**، مجلة كان، العدد28، دار ناشري، الكويت، 2015م.

3. خالف محمد نجيب: **الأربطة**، مجلة معهد الآثار، العدد 06، جامعة الجزائر، 2007م.

فهرس المحتويات

1. تشكر وعرفان

2. إهداء

3. قائمة المختصرات

4. مقدمة.....أ

الفصل الأول: الإطار الجغرافي والبشري والتاريخي للمغرب الإسلامي

I. الإطار الجغرافي والبشري..... 7

5. الإطار الجغرافي 7

6. التقسيمات الادارية والاقليمية لبلاد المغرب الاسلامي..... 10

7. التركيبة السكانية لبلاد المغرب الإسلامي..... 11

II. الإطار التاريخي للمغرب الاسلامي..... 15

1. حركة الفتح الإسلامي ببلاد المغرب كدعوة للتغيير و البناء..... 15

2. المغرب الإسلامي في عصر الولاة..... 21

3. المغرب الإسلامي في عصر الدويلات..... 29

الفصل الثاني : نشأة وتطور الرباطات بالمغرب الإسلامي

I.مدلول الرباط وشروط المرابطة..... 34

1. الرباط لغة.....34

2. اصطلاحا.....35

3. شروط المرابطة.....38

II .نشأة الربط وتوزيعها الجغرافي ومراحل تطوها التاريخي.....41

1. نشأة الربط..... 41

2. التوزيع الجغرافي.....42

3. مراحل تطور الربط البحرية في سواحل المغرب الإسلامي.....44

III.نماذج الرباطات بالمغرب الإسلامي (إفريقية نموذجا).....46

1. رباط المنستير.....46

2. رباط سوسة.....52

الفصل الثالث : وظيفة و دور الرباطات في المغرب الإسلامي
I. وظيفة الربط وإدارتها.....57
1. وظيفة الربط.....57
2. إدارة الربط.....58
II . دور الربط (العسكري والديني والاقتصادي).....61
1. الدور العسكري.....62
2. الدور الديني.....64
3. الدور الاقتصادي.....69
خاتمة.....76
الملاحق.....79
البيبليوغرافيا.....97